عقيدة التثليث عند النصارى
نشأتها ـ تطورها ـ إبطالها

اعداد الدكتور :
محمد شلبي ابراهيم شتيوي
المدرس بكلية الشريعة
جامعة الكويت

مقدمة :

كما هوديدن النصارى في كل وقت وحين نراهم في عصرنا الحاضر يروجون لدعوى ألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ وتثليث الألوهية في كل مكان يرونه صالحا لنشر هذه الافكار ونموها فيه، وذلك عن طريق انشاء المدارس التبشيرية في هذه الأماكن، وبناء المستشفيات بها وتـزويدهـا بالاطباء والممرضين والممرضات ممن درسوا الناحيتين : الطبية والدينية ليقوموا بعلاج الجسم عن طريق الأدوية ،وعلاج الروح ـ هكذا يدعون ـ عن طريق بث هذه الافكار النصرانية بين السذج من الناس وفي تلك المجتمعات الوثنية والبدائية، بل انهم يحاولون التسلل الى بعض المناطق الاسلامية التي دخلها الاسلام مؤخرا، أو تلك المناطق التي فيها أقلية إسلامية وأكثرية نصرانية والسلطان فيها بيد حاكم يدين بنصرانية التثليث وتأليه البشر، ومن ثم يقومون بنشر دعايتهم والترويج لمبادئهم بين هذه الطبقات التي لم يتعمق الايمان في قلوبها وكان إيمانهم على شفا جُرُفٍ ، أو حطمها الفقر وهدمتها المجاعة.

وكما هو الحال في السابق، ايضا فما زال دعاة النصرانية الحديثة وعلماؤها وأدباؤها يقومون بنشر بعض الكتب والأبحاث وترويج المجلات والمقالات التي ضمنوها طعنا في القرآن الكريم والافتراء عليه وتحميله مالا يحتمل من دعوى التثليث والتناقض والتضارب، وذلك مثل كتاب : المسيحية في الاسلام للقس ابراهيم لوقا، وكتاب المشرع للقس/ بولس سباط، وكتاب : الانجيل والقرآن، والقرآن والكتاب (أول وثانٍ)، نظم القرآن والكتاب ، وهذه الاربعة للمبشر النصراني يوسف الياس الحداد.

من هنا رأيت واجبا على ان اسهم ـ قدر استطاعتي ـ في إظهار الحق واجلاء الحقيقة، فكتبت هذا البحث لتوضيح عقيدة التثليث عند النصارى المثلثين ومن ثم نقضها وإبطالها.

وقد كان منهجي في هذا العمل قائما على ما يلي :

١ ـ عرض قضية التثليث عرضا تاريخيا موثقا، فعرفت بواضع بذرة التثليث وحللت شخصيته، وبينت اسباب هذه الدعوى وفلسفتها.

٢ ـ إلزام الخصم بضد دعواه استنادا على مصادره التي يعترف هو بصحتها ويصدق بمضمونها.

٣ ـ إبطال التثليث نصا وعقلا.

٤ ـ بيان وجه الحق في هذه القضية.

ولأن هذا البحث قد يقرؤه المسلم وغير المسلم فقد وثقت دراستي هذه بالأدلة القرآنية لأن هذا المصدر الصحيح من بين الكتب السماوية عند كل مسلم، كما استعنت في هذا الجانب ببعض النصوص من التوراة والانجيل لأن هذا المصدر الذي يقتنع به غير المسلم، فمن باب إلزام الخصم بما يعتقد صحته ـ لا من باب اعتقادي بصحة هذه الكتب ـ لجأت الى بعض الاستدلالات التي استقيتها من هذين المصدرين بالاضافة الى بعض النصوص الاخرى التي أخذتها من كتاب : أعمال الرسل، ورسائل بولس المختلفة.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه تعالى نافعا به، إنه تعالى نعم المولى ونعم المصير.

تمهيد :

ليس هناك شك لدى أي مؤمن بحق ـ سواء أكان هذا في عصرنا الحاضر أم في العصور السالفة ـ أن الله واحد، وأنه تعالى ليس له شريك، وإلا لم يكن مؤمنا.

وعقيدة التوحيد هذه كانت محورالرسالات الحقة كلها، وأهم مبدأ كان الرسول يوجه همته إليه قبل أي أمر آخر ، وقد أكد القرآن الكريم وحدة :الديانات كلها في هذا الأمر فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ »(١)
« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ »(٢)
« * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ »(٣)
« * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ »(٤)

وعقيدة التوحيد هذه هي التي وصَّى بها يعقوب بنيه من بعده كما قال القرآن الكريم:

« أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ »(٥)

ومامن أمة إلا وقد أرسل الله لها من يبعدها عن الشرك والوثنية ويأخذ بيدها إلى

١ ـ الاعراف / ٥٩.
٢ ـ هود / ٥٠.
٣ ـ هود / ٦١.
٤ ـ هود / ٨٤.
٥ ـ البقرة / ١٣٣.

وحدانيته تعالى، وهذا ما أثبته القرآن حين قال :

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ »[1]

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »[2]

والقرآن الكريم ـ وهو آخر الكتب السماوية ـ قد قرر هذه الحقيقة تقريرا واضحا فنادى بوحدانية الله تعالى، ربوبية وألوهية وأسماء وصفات فقال : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »[3].

كما نفى القرآن الكريم الشرك عن الله تعالى في كثير من الآيات فقال عز من قائل :

« قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ »[4]

«وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »[5].

«وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »[6].

«وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا »[7]

« إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ »[8].

---

١ ـ النحل / ٣٦.

٢ ـ الانبياء / ٢٥.

٣ ـ الحشر / ٢٢ ـ ٢٤.

٤ ـ الرعد / ٣٦.

٥ ـ الحج / ٢٦.

٦ ـ لقمان / ١٣.

٧ ـ النساء / ١١٦.

٨ ـ المائدة / ٧٢.

ولقد كان من فضائل الحكمة الإلهية أن أرسل رسلا عديدين وأنبياء كثيرين إلى بني إسرائيل ، كلما ضلوا عن الحق أرسل لهم رسولا أو نبيا حتى يظلوا على الوحدانية الناصعة التي لا يشوبها شرك أو وثنية ، قال تعالى :« وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ »[1] ، « وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا »[2] ، لكن بني اسرائيل كانوا جفاة ضالين فما أن تركهم موسى فترة من الوقت حتى تركوا الوحدانية وعبدوا عجلا صنعوه بأيديهم فوبخهم موسى وبكّتهم على هذا الجرم الشنيع ، وقد حكى القرآن هذا الضلال الذي كان منهم فقال : « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ »[3].

ولكنهم ما شكروا الله حق شكره ، وماحمدوه على توبته عليهم بل زادوا في ضلالهم وتعنتهم فكانوا كلما جاءهم رسول نظروا فيما جاء به فإن كان قد جاء بما لا تهواه أنفسهم وأهواؤهم فإنهم يكذبونه أو يقتلونه ، قال تعالى :

« وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ »[4] « لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ »[5] .

---

(١) البقرة / ٨٣.
(٢) الاسراء / ٢.
(٣) البقرة / ٥٤.
(٤) البقرة / ٨٧.
(٥) المائدة / ٧٠.

واذا كان محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا الى التوحيد فإن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ أيضا قد دعا الى التوحيد حيث قال تعالى :

«وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ»[1] .

وإذا كان نصارى[2] اليوم قد نسبوا الى عيسى ـ عليه السلام ـ القول بألوهيته أو بنوته لله تعالى فإن عيسى سيكذبهم في هذه الدعوى وعلى ملأ من الأشهاد في يوم القيامة ، قال تعالى :

«وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ»[3] .

والقرآن الكريم لم يكتف بإثبات التوحيد لله تعالى ولكنه أيضا نص على نفى الشرك عن الله تعالى ، نص على أنه لا يجوز أن يكون لله ولد أو صاحبة اوبنون أو بنات أو أي شريك كان، فقال :

«وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ

---

١ ـ المائدة / ٧٢ .

٢ ـ النصارى جمع نصران ، سموا بذلك لانهم نصروا المسيح (الكشاف / بتصرف / جـ١ ص ٨٥) وفي ابن كثير جـ١ ص ١٠٣ فأصحابه (أي سيدنا عيسى) وأهل دينه هم النصارى وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقيل إنهم سموا بذلك لانهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة ، . وأيا كان السبب في هذه التسمية فإن كلمة النصارى في أول استعمالها كانت تعني المؤمنين الذين صدقوا بدعوة عيسى ـ عليه السلام ـ ونصروه في هذه الدعوة لكن الناس الان قد تعارفوا على اطلاقها على كل من اعتنق دعوة عيسى قبل التحريف أو بعد التحريف .

وكذلك النصرانية كانت تعني أول الامر دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ التي آمن بها الحواريون «فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشْهَدْ بأنا مسلمون / آل عمران ـ ٥٢) ولكنها الان تعني عند أهلها الدعوة التي اشتملت عليها الأناجيل الاربعة وكتاب أعمال الرسل والرسائل التبشيرية التي كتبها بولس وبطرس . . الخ .

٣ ـ المائدة : ١١٦/١١٧ .

شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ »[1]

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ »[2] .

وإذا كانت الأديان السماوية متفقة في دعوة التوحيد، وإذا كان الرسل جميعا قد دعوا إلى التوحيد فإنه مما لاشك فيه أن كتب هؤلاء الرسل قد دعت الى الوحدانية ونزهت الله عن الشريك تنزيها قاطعا وإلا لما كانت هداية ونورا كما قال سبحانه وتعالى عنها :

« وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ »[3] ، « إِنَّا انزلنا التوراة فيها هُدًى وَنُورٌ »[4] ، « وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ »[5] .

فإذا كان عيسى ـ عليه السلام ـ بريئا من دعوة الألوهية لغير الاله الحق، وكان الانجيل[6] الذي نزل على عيسى ـ عليه السلام ـ بريئا أيضا من دعوى الألوهية لغير الله تعالى، فمتى بدأت دعوى الألوهية التي نسبت إلى عيسى ـ عليه السلام ـ ؟ ومن الذي ابتدعها ؟ وما سبب هذه الدعوى ؟ وماذا ترتب عليها من أكاذيب وضلالات ؟

---

١ - الانعام : ١٠٠/١٠٢ .

٢ - سورة الاخلاص .

٣ - آل عمران : ٣/٤ .

٤ - المائدة /٤٤ .

٥ - المائدة ـ ٤٦ .

٦ - الانجيل كتاب عيسى ـ عليه السلام ـ وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنث أراد الصحيفة ومن ذكر اراد الكتاب (مختار الصحاح) ومعنى كلمة إنجيل : البشرى.

والمقصود أن سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ قد جاء بني اسرائيل بالبشرى وهي هذا الكتاب النافع لهم في الدنيا والاخرة.

وجاء في قصة الحضارة لـ«ول ديورانْت» جـ١١ ص ٢٠٦ واللفظ الدال علي الانجيل GOSPEL وهو في اللغة الانجليزية القديمة GODSPEL أي أخبار طيبة . . ومعناه أخبار سارة هي ان المسيح قد جاء.

دعوى ألوهية عيسى وأثرها في القول بالتثليث[1]

شخصية صاحب هذه الدعوى وثقافته :

بادى ذى بدء لا بد أن نعرف شخصية صاحب هذه المقولة والمؤثرات البيئية والدينية التي شكَّلت فكرة ووجدانه وعقيدته حتى يتسنى لنا الحكم على هذه الشخصية وفكرها وعقيدتها .

لقد ظهرت بوادر التثليث على يد بولس حين ادعى أن عيسى ابن الله[2]، فهو صاحب هذه الدعوى، وهذا اسمه بعد دخوله في النصرانية وقد كان قبل هذا يسمى شاؤول[3] كما كان يهوديا فريِّسيًّا[4] من أب يهودي فريِّسي[5].

لقد كان شاؤول ـ بولس فيما بعد ـ من أشد الناس عداوة للنصرانية التي جاء بها عيسى ـ عليه السلام ـ وكان مطرقة يُدَقُّ بها رؤوس أتباع هذه الديانة اذ كان يساعد السلطة والكهنة في إنزال العذاب بكل نصراني، وبكل من ترك اليهودية واعتنق النصرانية بديلا عنها، ويصور لوقا هذا العداء فيقول: «كان شاؤول راضيا بقتل المسيحيين وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن.[6]».

ولم يحدث أن التقى شاؤول بسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ كما أنه لم يره أبدا لا عن

---

١ ـ إن فكرة التثليث هذه فكرة خبيثة تسبب فيها رجل خبيث، ونبتت في بيئة خبيثة، إنها فكرة مظهرها خادع، ومضمونها شر ما بعده شر، لقد غلفها أهلها بغلاف القدسية والالهام حتى يكون لهذه الدعوى الكاذبة صفة الالزام والالتزام وبذلك لايحق لاحد أن يرفض هذه الدعوى أو ينقضها.

٢ ـ أعمال الرسل (٩ : ١٩ـ٢٢).

٣ ـ السابق (٩ : ١٠ ـ ١٨).

٤ ـ كلمة الفرِّيسيين معناه المنعزلون والمنشقون ، وقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية، ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم بـ : «الأحبار» أو «الاخوة في الله» أو «الربانيين» ، وقد صورهم كاتبو الأناجيل في صورة معارضة للمسيح ووضعوهم في موضع معارض له . د/ أحمد شلبي ، اليهودية ط٦ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨ .

٥ ـ أعمال الرسل ٢٣ : ٦ .

٦ ـ اعمال الرسل ٧ : ٦ ، ٨ : ٣.

قرب ولا عن بعد، ولم يثبت أن شاؤول قد التقى بعيسى مباشرة أو بواسطة بينهما. يقول شارل جنيبير ـ رئيس قسم الأديان بجامعة باريس ـ «ويجب أن نشير هنا إلى أن بولس لم يلتق بعيسى مدة حياته[1]» ويقول أيضا «لقد ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حاسمة حول التأكد من أن بولس رأى عيسى، والقضية التي ثبتت لنا على أي حال أنه لم يعرفه.»[2]

واذا لم يكن شاؤول قد التقى بعيسى ـ عليه السلام ـ ولم يسمع منه ولم يشاهده ـ كما هو الحال عند الحواريين ـ فهذا يعد نقطة ضعف في حياته كيهودي دخل النصرانية لأغراض كبيرة خطط لها، وأهداف واسعة أعد لها العدة.

من هنا نسج شاؤول من خياله قصة تضفي عليه قدسية تضعه في مصاف الحواريين[3] ـ إن لم يكن في مرتبة أعلى ودرجة أفضل ـ وتمنح أقواله الصدق والوثوق.

لقد كان شاؤول ماشيا بالقرب من دمشق ـ وكان هذا حوالي سنة ٣٨م وبعد أن رفع الله عيسى إليه ـ فإذا به يرى نورا من السماء يغشاه من كل جانب ويأخذ عليه شعوره ووجدانه فيسقط على الأرض لكنه يسمع صوتا يؤنبه ويعاتبه على ألوان الاضطهاد التي أوقعها ـ ويوقعها بالنصارى، واستهزائه بهذه العقيدة التي يؤمنون بها، ويستفسر شاؤول من صاحب هذا الصوت من يكون هو؟ فإذا به عيسى ـ عليه السلام ـ الذي يأمر شاؤول بالتبشير بالنصرانية في كل مكان، ومن ذلك الوقت أخذ شاؤول يَكرِزُ بالمسيح في المجامع على أنه ابن الله.

يقول لوقا : «وعندما كان بولس قريبا من دمشق فبغتةً أبْرقَ حوله نور من السماء فسقط على الارض وسمع صوتا قائلا له : شاول ، شاول : لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي انت تضطهده . . فقال وهو مرتعد

---

(١) شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها (ترجمة الدكتور/ عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية) ص ٦٩.

(٢) السابق ص ٨٦.

(٣) الحواريون القصارون لتبييضهم لانهم كانوا قصارين ثم غلب حتى صار يطلق على كل ناصر وكل حميم حواريا، وقال بعضهم : الحواريون صفوة الانبياء الذين قد خلصوا » (لسان العرب).

ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل[1] ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . . . وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون[2]

وهكـذا وضـع بولس البذرة الأولى لدعوى التثليث، وكتب بولس رسائله التي أرسلها إلى أتباعه في المدن المختلفة، وبثها دعوى ألوهية عيسى حيث كان يدعوه ربا وإلها، كما كان يسمى نفسه رسول يسوع المسيح، فقد جاء في رسالته الى رومية : «إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين نعمة لكم وسلام من الله أبينـا والـرب يسـوع المسيح » (١ : ٧) . «بـل نفتخـر أيضـا بالله بربنـا يسـوع المسيح »(٥ : ١١)، «اشكر الله يسوع المسيح ربنا» (٧ : ٢٤).

وفي رسالته الى أهل كورنتس الثانية يقول : «من بولس رسول يسوع المسيح . . . السلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح ، بارك الله أبو ربنا» (١ : ١-٣) «لان ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم على أيدينا » (١ : ٢٠) ، «لأنا لا نكرز بأنفسنا بل بيسوع المسيح ربًّا» (٤ : ٥).

والقول ببنوة عيسى الله ـ التي ابتدعها بولس ـ وان لم يكن نصا صريحا في التثليث إلا أنه أهم خطوة وأخطر عمل تسبب في القول بالتثليث، ذلك أن القول بالتثليث سبقه القول بثنائية الألوهية (الله ، عيسى) الذي نتج عنه القول بالتثليث ، فحيث عيسى ابن إله أو رب مخلِّص ومنقذ لزم أن تكون أمه إلها ـ كما ادعى البعض ذلك ـ وهذا وان ظهر بعد بولس، إلا أنه فاتح باب القول به فعليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة.

وحسب ما قاله لوقا أصبح بولس مبشرا بالمسيح والنصرانية التي ألقى عبئها عليه عيسى ـ عليه السلام ـ ، ولكن هل يمكن لبولس ان يعلم النصرانية التي جاء بها

---

١ ـ كان من المنطق العقلي ان يكون سؤال بولس لعيسى : ماذا تريد ؟ أو ماذا تريد مني ؟ أما ان يخصص السؤال بـ : «ماذا تريد أن افعل» فإني ارى ان هذا تمهيد من بولس ليملي على النصارى ما يريد هو لا ما يريد عيسى عليه السلام

٢ ـ اعمال الرسل (٩: ١ ـ ٢٠).

عيسى للناس وهو قد رضع عداوتها وتشرب هدمها ونقضها ؟ أكبر ظني استبعاد ذلك من شاؤول عدو النصرانية الحقة .

وكيف يقوم بولس بالتبشير بالنصرانية وتعليمها للناس وهو ليس دارسا لها ومتقنا لتعاليمها ـ كما هو الحال في الحواريين ـ حيث لم يكن مشاهدا لأحوال عيسى في كل الأحيان ؟ هذه مشكلة كبيرة تحتاج الى حل، فكيف تخطاها بولس ؟

لقد أضفى بولس على نفسه صفة المتعلم بلا معلم ، بل قل انه معلم بدون معلم يعلمه أصول النصرانية ومبادئها ، وكيف يحتاج الى معلم وهو متصل اتصالا مباشرا بعيسى بعد أن رفعه الله إليه ؟ لقد ملأ بولس هذه الفجوة بدعوى خيالية أخرى أملاها على إخوانه في الضلال حين قال لهم : «أعرفكم أيها الاخوة، الانجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح»[1] .

وحينئذ نسأل شاؤول : وما الداعي لانجيل جديد من عيسى ؟ وهل هذا الانجيل ناسخ لانجيل عيسى الذي نزل عليه من الله ؟ أم انه ليس بناسخ له ؟ ان كان ناسخا لانجيل عيسى فالنصرانية التي يعيشها النصرانيون اليوم ليست هي النصرانية التي جاء بها عيسى الرسول الذى نزل الانجيل عليه وحْياً من خالق السموات والارض ، وحينئذ فهي ليست برسالة سماوية وإنما هي افكار شخصية يعتريها الصدق والكذب، ويحق لكل ذي عقل واعٍ أن ينقضها ويرفضها لما فيها من شرك ووثنية .

فإن لم يكن إنجيل بولس ناسخا لانجيل عيسى فهل هو مكمِّل له ؟ وهل يجوز لانجيل نزل على من كان يهوديا وليس برسول ـ بل كان معاديا لرسول الله عيسى ـ أن يكون مكملا لانجيل نزل وحْياً من الله على رسول الله الذي اختاره ربه لهداية بني إسرائيل ؟

والشواهد واعترافات الكتاب النصرانيين تنفي أن يكون الإنجيل الذي بشَّر به بولس هو إنجيل عيسى بذاته وذلك لعدة أمور منها :

١ ـ جاء في مقدمة تفسير رسالة رومية ص٢٨ «وبعد أن يقدم بولس نفسه يعطي

ملخصا للتعاليم الأساسية في إنجيله ، إنه انجيل يتركز حول يسوع المسيح»، وفي ص٣٢ من نفس المقدمة يقول الشارح : «بوصولنا الى هاتين الآيتين تنتهي مقدمة بولس ويرتفع صوت إنجيل بولس . . فقد بدأ بولس يقول إنه يفتخر بالانجيل الذي تشرف بإعلانه «ونحن نقول إنه قد سبق هذا إعلانُ عيسى بإنجيله وأصبح معروفا لأتباعه وحوارييه .

٢ ـ يقول شارل جنيبير عن بولس إنه : «اتصل بأشخاص معينين قدموا اليه صورة معينة لشخصية عيسى ودعوته وأنه اتخذ هذه الصورة المعينة أساسا لما أسماه إنجيله» ص ٨٦، وفي ص ١٠٠ يقول : «وليس هناك من شك في أن الانجيل الذي قال به (أي بولس) مدين له بالكثير من الالهامات الخاصة» وفي ص ١٠٣ يقول : «وكان يبـدأ بالحديث في المعابد فيثير فيها عادة لدى اليهود المخلصين غضبا عنيفا على ما يسميه بـ «إنجيله» .[١]

على كلٍّ فبولس أصبح معلّما لدعوة عيسى ـ عليه السلام ـ في المجامع دون أن يتعلم على يد أحد من البشر وإنما تعلم هذا العلم الواسع على يد عيسى ـ وهذا بعد نهاية عيسى على الارض ـ والذي كان بولس يناديه باسم الرب، وأصبح بولس المعلم الوحيد المؤتمن على النصرانية الصحيحة .[٢]

ومن العجب العجاب أن يكون المبشر بدعوة عيسى جاهلا بالعقيدة المسيحية التي نزلت على عيسى ـ وإلا فكيف يقول ان عيسى ابن الله وهو عبد الله ورسوله ـ ثم فجـأة يتحـول الى المعلم الأول بها والداعية المفوَّه إليها دون بقية الحواريين الذين تتلمذوا على يد عيسى عليه السلام .

ومن العجب العجاب ان يكون داعية النصرانية الاول بعد عيسى ذا ثقافة بعيدة كل البعد عن الرسالة السماوية التي عهد الله الى عيسى بتبليغها لبني اسرائيل .[٣]

---

١ ـ شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها .

٢ ـ تيطس (١ : ٣) .

٣ ـ وهذه الثقافات وان كانت مجالا لتوسعة الفكر وتنمية القدرات العقلية إلا أن بولس قد استغل هذه الثقافات كسلاح لهدم رسالة عيسى إذ كان من نتائجها أدعاؤه أن عيسى ابن الله ، وقد شهد بهذا الهدم نظيره النصراني شارل جنيبير وهذا سيرد فيما بعد في هذا البحث .

نعم كان بولس ذا ثقافات متعددة لكنها كانت مخالفة لدعوة عيسى ـ عليه السلام ـ بل كانت مضادة لها ومناقضة لمبادئها لأن فيها ـ أي في هذه الثقافات ـ من الوثنية والشرك الشيء الكثير.

«والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريبا حقا : مزيج من دعوى الاثنى عشر[1] الأساسية ومن الأفكار اليهودية ـ التي يرجع بعضها مباشرة الى النصوص المقدسة القديمة بينما يرجع البعض الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبيا ـ ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ومن الذكريات الانجيلية والاساطير الدينية الشرقية»[2].

ويربط شارل بين بولس (شاؤول) وبيئته التي عاش بها حيث كانت هذه البيئة ملهمة لبولس في أفكاره التي بشر بها في المجامع النصرانية عن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ، فلقد كان بطرطوس ـ وهذا موطن بولس ـ خلال العصر الذي عاش فيه بولس إلهان : «بعل طرز» أي «سيِّد طرطوس» والثاني «سندان» وكان الناس يحتفلون بساندان هذا ويتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء و «لو لم ير بولس من مظاهر عبادته ـ أي عباداة ساندان ـ سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمرا بالغ الأهمية»[3].

نعم انه لأمر بالغ الأهمية لأن بولس تشبع بعقيدة الطرطوسيين في عبادتهم وتمجيدهم لساندان الذي يرتفع الى السماء ثم يعود فأوحى هذا الى بولس أن يعلن على الناس تمجيد عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه المنقذ والمخلِّص ولأنه خلق من اللاهوت وهو لذلك ابن الله.

ونتابع شارل جنيبير في تحليلاته لبيئة وطبيعة بولس كي نصل إلى حقيقة بولس وأغراضه فنراه ـ أي شارل ـ يقول ـ يقول : «ومن المرجح . . . إن لم يكن من الثابت

---

١ ـ دعوى الاثنا عشر يقصد بها المؤلف دعوى الحواريين الاثنى عشر وهذا كما جاء في ص ٦٥ من كتابه «المسيحية : نشأتها وتطورها» وذلك قوله : «إننا نعلم تماما أن الحواريين الاثنى عشر والاتباع المباشرين لعيسى لم يكونوا . . الخ.

٢ ـ شارل جنيبير ، المسيحية ص ٧٠.

٣ ـ السابق ص ٧٩.

تاريخيا أن بولس تدرج في نشأته الاولى بين أحضان بيئة مشبعة تماما بفكرة «النجاة» هذه القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يبعث ويشاركه أتباعه في مصيره اذ يتحدون به لابالايمان المطمئن القوى فحسب ولكن ايضا بالطقوس الرمزية الفعالة»[1].

وشارل جنيبير ـ أستاذ المسيحية في جامعة باريس ـ يريد بهذا أن يربط فكرة بولس عن عيسى في الصلب وارتفاعه وعودته بينهم بعد ثلاثة ايام ـ كما تقول الأناجيل ـ بفكرة النجاة التي كانت سائدة في بيئة بولس والتي تتضمن موت الاله وبعثه من جديد ليشاركه اتباعه ـ أو قل الحواريين ـ في مصيره.

ويواصل شارل جنيبير تحليله لبيئة بولس فيثبت ان هناك عوامل متعددة جعلت من طرطوس مهدا للحواريِّ المرسل الى المشركين ، هذا بالاضافة الى عوامل اخرى كتقلُّبه بين اليونان والرومان واعتناق لليهودية ، يقول شارل :

«ونستطيع تأكيد حقيقة لايمكن الجدل فيها تلك هي : أن طرطوس لم تصبح بمحض المصادفة مهدا لـ «الحواريِّ» المرسل الى المشركين » أي للرجل الذي ساهم بأكبر قسط في نشر دين جديد للنجاة باسم المسيح عيسى وإنما كانت نتيجة لعوامل متعددة.

ومن ناحية اخرى فإننا حين ننظر إلى ملكات بولس العامة في التبشير ـ حسب أساليب يونانية ورومانية ـ بعقيدة يهودية الأصل نجد أنه كان في وضع يلائم تحقيق عمله كل الملاءمة، فقد جمع بين مميزات ثلاث جعلت منه اقدر الناس على القيام بهذا الدور : كان يونانيا، وكان يهوديا، ثم كان ايضا رومانيا.

وعندما نقول إنه كان يونانيا فإننا نقصد بذلك أنه أُشرب في بيئة طرطوس شيئا من الروح الاغريقية بطريقة تكاد لا شعورية . . . لم يكن بولس بالأديب اليوناني، ولم يتخرج على أيدي أساتذة المدارس الكبرى في مدينته، كما لم يقم بدراسة مستفيضة لـ«الأسرار» غير انـه عاش في وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل «الله»

(١) السابق ص ٨٠.

«عقل» «منطق» «روح» «ضمير» فلم تكن بالكلمات الغريبة عليه بعد ذلك»[1]

وحيث إن بولس عاش في هذه البيئة التي تنتشر فيها مثل هذه المصطلحات ثم ظهرت تلك المصطلحات على لسان بولس بعد ذلك وبشر بها ودعا الناس اليها ، حيث هذا فإنه لمن المؤكد أن بولس قد استعار هذه المصطلحات من الفكر اليوناني وصبغ بها النصرانية الحقة فظهر بمقولة ألوهية عيسى ـ التي هي المرتبة الثانية في التثليث ـ والمنقذ من الآثام . . الخ .

وإذا كانت هذه صورة لتأثير البيئة اليونانية على بولس فإنه : «من المسائل التي لا تقبل الجدل أن رسائل بولس تشهد بمعرفة للنصوص المقدسة مماثلة لما اعتدنا عليه من معرفة علماء اليهود بها، ويتضح من خلال هذه الرسائل روح مؤلف أخذ الكثير من الفرِّيسيين في تكوينه الفكري فهو يعشق الجدل ويمتاز بالبصيرة النافذة المدققة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين أو هدمها ، كما نراه يهاجم الشريعة اليهودية بنفس الأساليب التي استخدمها من قبل في الدفاع عنها، ويتضح في رسائله أيضا أنه يعتمد على رصيد من المذاهب ـ حول طبيعة الإنسان وفكرة الإثم والعلاقة بين الإثم والموت ـ لا تقل في اتصالها بروح علماء اليهود عن مناهج الجدل التي طرقتها»[2] .

وهكذا نرى أحد النصارى في العصر الحاضر، بل أحد علمائها يرجع بأفكار بولس إلى مصادر بعيدة كل البعد عن النصرانية الحقة، مصادر امتلأت بالخرافات الوثنية والاعتقادات الخيالية التي لا يمكن أن تلتقي مع الوحي الإلهي الذي نزل على عيسى عليه السلام .

نعم لقد كان بولس ذا ثقافات متعددة، وذا شخصية أثرت فيها ثقافات أجنبية كثيرة كثقافته اليهودية التي عاش عليها سنين طويلة والتي دفعته ليقف محاربا للنصرانية التي جاء بها عيسى ـ عليه السلام ـ مضطهِداً لأتباعها سنين طويلة .

---

١ ـ شارك جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٢/٨٣ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٨٣ .

وإذا كانت الثقافة اليهودية لها صلة بدين سماوي ـ وهذا يجعلها مقبولة ولو من هذه الناحية ـ فإنه من غير المعقول والمقبول أن يكون داعية المسيحية الملهَم ـ على حد قوله ـ متأثرا بثقافات أخرى وثنية .

لقد عرفنا من النصوص التي أوردناها أن بولس كان متأثرا بالثقافات اليونانية بما فيها من بُعْد عن الحق وانحراف عن الصراط المستقيم، وعرفنا أيضا أنه كان متأثرا بالثقافات الوثنية التي كانت في جوهرها ومضمونها حرْبا على كل رسالات التوحيد بما في ذلك رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ السماوية الالهية .

وهذه المؤهلات التي ذكرناها جديرة بأن تكون وسيلة لإبعاد بولس عن أن يكون داعية للنصرانية التي جاء بها عيسى ، أو معلِّما لها لأنها مؤهلات نبتت في بيئات وثنية ونشأت في مواطن الكفر والشرك .

وهذه الثقافات التي تشبع بها بولس حَرِيَّةٌ بأن تجعل منه عدوا للنصرانية[1] الحقة هادما لها لاداعية إليها ومدافعا عنها، لأن المسيحية الحقة دعوة الى التوحيد الخالص لله تعالى وتنزيهه عن الصاحبة والولد، أما هذه الثقافات فمنزلق خطير وطريق محفوف بالكفر والبهتان .

---

١ ـ قد يتساءل البعض : كيف تقرر استحالة إيمان بولس بالنصرانية الحقة وإخلاصه لها اعتمادا على عدائه للمسيحية أول الامر، أو اعتمادا على ثقافته اليهودية واليونانية ؟ ألم يكن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عدوا للاسلام ثم اصبح ظهيرا له ؟ ألم يكن أبو سفيان من زعماء قريش الذين حاربوا الاسلام والمسلمين ثم أصبح صحابيا مخلصا للاسلام ؟ ألم يكن سلمان ذا ثقافة فارسية مجوسية ؟ ألم يكن عبدالله بن سلام من أحبار اليهود ؟ . . الخ .

والجواب : أن هذا الالزام غير وارد على صحابة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعدة أمور :

أ ـ ان عداءهم وايمانهم كان في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتعلموا على يديه وتلقنوا القرآن ومباديء الاسلام العظيمة من رسول الله ، وهذا بخلاف ماكان عليه بولس فقد ظل عدوا للنصرانية الحقة حتى بعد ان رفع الله عيسى إليه .

ب ـ هؤلاء الصحابة ـ سواء منهم من دخل في الايمان في عهد الرسول او بعد وفاته ـ حين دخلوا في الاسلام أخذوه كما عرفوه من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يزيدوا عليه ولم ينقصوا منه ولم يغيروا فيه شيئا ، أما بولس فحين دخل في النصرانية غير ماجاء به عيسى ـ عليه السلاةم ـ بل غير أهم ركن في الدعوة الدينية ألا وهو وحدانية الله تعالى ، ومن يكون هكذا لايعد مؤمنا بالنصرانية التي جاء بها عيسى ولا مخلصاً لها بل عدوا لدودا للدعوة وصاحبها .

ج ـ الصحابة لم يختلقوا كتابا غير الكتاب الذي نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، أما بولس فقد اختلق إنجيلا جديدا ودعوة جديدة وهذا ماقاله مفسر رسالة رومية، ففي ص ٣٢ جاء قوله «بوصولنا إلى هاتين الآيتين تنتهي مقدمة بولس ويرتفع صوت إنجيل بولس . . . فقد بدأ بولس يقول إنه يفتخر بالانجيل الذي تشرف بإعلانه «وقد سبقت الاشارة الى هذا في ص (١٠) من البحث .

وهـذه النشأة التعليمية المنحرفة جديرة بأن تصرف كل نصراني يؤمن بما جاء به عيسى عليه السلام عن هذه الدعوة الشاءُوليه ، وأن يعيد النظر في مسيحية بولس هذه لأنّها خط مضاد ومعارض للمسيحية التي جاء بها عيسى ـ عليه السلام ـ وحيا صادقا من المولى عز وجل .

وإذ بَعُدَ بولس عن منهج عيسى ـ عليه السلام ـ وعن الوحي الذي نزل عليه من الله ، وانحرف عن طريق الوحدانية التي نادى بها جميع الرسل ، إذ كان هذا كله حق لكل نصراني ان يعيد النظر في أفكار بولس هذه ويعود الى القول الحق قول عيسى ـ عليه السلام ـ الذي جاء في القرآن الكريم :

«وَ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ »[1]

ونخلص من هذا الى ان بولس هو صاحب القول ببنوة عيسى لله تعالى وأنه بهذا قد وضع بذرة التثليث حين أخذ يَكرزُ في المجامع النصرانية بأن عيسى ابن الله بعد حادثة سماعه لصوت يسوع ـ كما قال هو ـ ووقت أن كان بولس هذا قريبا من دمشق .

ولقـد استتبـع هذا الجرم الشنيع وهذا الكفر الصريح كفرا آخر ألا وهو القول بطبيعة المسيح الالهية لأنه كذا كان إبنا للاله كانت بالتالي طبيعة مستمدة من طبيعة الاله ، ومن هناك جعلت النصرنية ـ التي بشَّر بها بولس ـ عيسى ابن مريم من طبيعة مخالفة لطبيعة البشر وجعلت من عيسى الاله الابن ضمن مجموعة التثليث التي ظهرت بعد ذلك والتي مهد لها ووضع بذرتها بولس .

---

١ ـ سورة المائدة : ١١٦/١١٧ .

أسباب التثليث :

ما الدافع الذي جعل بولس يقول ببُنُوَّة عيسى لله تعالى، تلك المقُولة التي وضعت بذرة التثليث ؟

هل الدافع هو نقل تلك النصرانية الحقة من ديانة محلية إلى عالمية فلزم على هذا الادعاء أن عيسى ابن الله كي يزيل بولس بهذه المقولة الفجوة التي كانت فاصلة بين النصرانية الموحِّدة لله تعالى وبين أفكار الأمم المجاورة وبخاصة الوثنيين وأتباع ديانة متراس وغيرهم ممن تستهويهم هذه الافكار ؟

ان هذا السبب هو ماقال به بعض المفكرين المهتمين بالدراسات المسيحية، فقد ذكر الدكتور أحمد شلبي في كتابه «المسيحية» نصا لأحد هؤلاء الكتاب وهو Berry يقول فيه :

« . . . ولكن شاءول كون المسيحية على حساب عيسى ، فشاءول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود، كما أدخل صورا من فلسفة الاغريق ليجذب أتباعا له من اليونان فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلِّص وسيد . . . استطاع الجنس البشري بواسطته ان ينال النجاة، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في Cybele و Mithras فانحاز اتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس،وعمل كذلك ـ ليرضى المثقفين اليونان ـ فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة The Loges أو ابن الاله The Son of God أو الروح القدس The Holy Ghost [1] .

وعلى هذا الرأي الذي وثقه وأكده أحد علماء النصرانية الحديثة يكون من اسباب القول ببنوة عيسى لله فتح باب جديد لجذب أتباع جدد يؤمنون ويدخلون في هذه النصرانية الجديدة، نصرانية بولس.

---

١ ـ Religion of World P - 70-

نقلا عن كتاب : المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ط٧) ص ١٠٩ .

لكن هناك سبب آخر لا يقل في وجاهته وصدقه ووثوقه عن السبب الأوّل، فبولس هذا كان يهوديا من طبقة الفريسيين، كما كان أبوه يهوديا فريسيا ، لذلك كان عدوا للنصرانية التي جاء بها عيسى ـ عليه السلام ـ وكان كارها لها، بل كان أداة لاضطهاد النصارى المؤمنين برسالة عيسى أينما كانوا، وذلك كما قال عنه نفسه :

«سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي. [1]

كما وضّح لوقا ـ صاحب الانجيل الثالث وتلميذ بولس المخلص ـ قوة هذا العداء فقال :

«وكان شاول راضيا بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر رجالا ونساء يسلمهم الى السجن» [2] ويقول ايضا عن أستاذه بولس : «ولم يزل ينفذ تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى وجد أناسا في الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين الى أورشليم» [3].

وتأسيسا على هذا الاعتراف من بولس وتلميذه لوقا يكون بولس قد دخل النصرانية ظاهرا لكنه في قرارة نفسه كان يُبْطن اليهودية لاخوفا ولكن عداء للنصرنية وهدما لها، وكانت وسيلته لتحقيق هذا الغرض ـ هدم النصرانية ـ هي دعوى ألوهية عيسى وبنوَّته لله تعالى.

وأني لأميل إلى ترجيح هذا السبب، والذي يدعوني إلى هذا أن الكثير من الباحثين من أبناء النصرانية، بل الفاتيكان نفسه قال بهذا الرأي، فالباحثون يرون «أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها، فهو

---

١ ـ غلاطية (١ : ١٣/ ١٤)

٢ ـ اعمال الرسل (٧ : ٦، ٨ : ٣)

٣ ـ اعمال الرسل (٩ : ١/ ٢)

قد دخلها في الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحا جديدا يطعنها به . . .
والعجب أن الفاتيكان يعترف الى حد كبير بموقف بولس من المسيحة وعدم حرصه عليها! فقد جاء في كتاب نشرة الفاتيكان سنة ١٩٦٨م بعنوان : «المسيحية عقيدة وعمل» مايلي :

«وكان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الايمان ان يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع المسيح»[١] !

والأمر واضح ، فعقيدة أصلُها التوحيدُ، تُبدَّل وتغير الى تثليثٍ وكفرٍ وشركٍ لاشك أن هذا عملٌ عدائيٌّ موجهٌ إلى هذه العقيدة الحقَّة، وفاعلُها عدوٌّ لدود لهذا الدين حتى وإن لمْ يُظْهِر هذا ولو لم يعلنْهُ على الناس !!

يقول شارل جنيبير : «ولنؤكد هنا أن رؤيا طريق دمشق لم تغيِّر من ذات بولس ، بل دفعته فحسب إلى تطبيق مبادئه القديمة في اتجاه جديد، لقد ضم عيسى إلى مجال نشاطه وتبناه في عنف فراح يكمل من معلوماته عنه . . . وراح يُعمِلُ فكره وخياله ويطبقِّ أساليبه التي اعتادها كيهودي وفريسي من أهل المهجر على (ما تلقاه هناك) وهو حتى في دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية قد بقى يهوديا كما كان من قبل، وهذا ما يعبر عنه رينان بحق عندما يقول : إن بولس لم يغير سوى موضوع تعصُّبه»[٢] .

وابن حزم يؤكد هذا السبب فيقول :

«ليعلمْ كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كباطرة (بطرس) ومتى الشرطي ويُوحنّا ويعقوب ويَهوذا الأخِسَّاء

---

(١) د/ أحمد شلبي ، المسيحية ص ١٢٤/١٢٥ ونص الفاتيكان منقول عن نسخة الفاتيكان ص ٥٠ «المسحية عقيدة وعمل» .

(٢) شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٠ .

لم يكونوا مؤمنين بل كانوا كذابين مستخفّين بالله تعالى إما مُقِرّين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه . . وإما مدسوسين من قِبَل اليهود . . . إلا أننا نبتُّ ونُوقِنُ ونقْطَعُ بأن (باطرة) الكذاب ومتّى الشرطي ويوحنا المستخفّ ويهوذا ويعقوب النذليْن ومَارقش (مرقس) الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل ماكانوا قط حواريين ولكن من الطائفة التي قال الله فيها «وكفرت طائفة».

ويعلق ابن حزم على بعض أقوال بولس فيقول :

«فهل في بيان قِحَة هذا النذل وسخريته لمن اتبعه وتحقيق ما تدعيه اليهود من أن أسلافهم دسوا هذا الرَّذْل بولس لاضلال أتباع المسيح عليه السلام أكثر من هذا القول في ابطاله الآيات والحِكَم»[1].

وهكذا رأينا بعض الباحثين يرجع قول بولس بأبوة الله لعيسى وبنوة عيسى لله الى أحد سببين : إما حبًّا في النصرانية التى جاء بها عيسى ـ عليه السلام ـ فاختلق بولس القول ببنوة عيسى لله ليجذب إليها أناسا متشبعين بهذه الافكار وإما كراهية لها فاخترع قضية البنوة هذه لتكون سلاحا يهدم به هذه النصرانية ومِعْوَلا يحطم به هذه العقيدة السماوية الإلهية.

وفي عصرنا الحاضر نرى أحد الباحثين النصرانيين يشرح فكرة البنوة والثليث بما يشبه الإيحاء بالتماس سبب عاطفي نتج عنه أن ولد الله الابن فوجد التثليث ، يقول هذا الباحث النصراني.

---

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص٣٢، ص٦٠.

«من الناس من يقول : لم يا تُرى إله واحد في ثلاثة أقانيم[1] ؟، أوليس في تعدد الأقانيم انتقاض لقدر الله ؟ أوليس من الأفضل أن يقال الله أحد وحسب ؟ لكننا إذا اطلعنا على كنه[2] الله لايسعنا إلا القول بالتثليث، وكنه الله محبة (يوحنا الأولى ٤ : ١٦) ولايمكن إلا أن يكون محبة ليكون الله سعيدا، فالمحبة هي مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر . . . فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، وليكون الله سعيدا ـ ولا معنى لآله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية[3] ـ كان عليه أن يهب

---

١ ـ جاء في دائرة المعارف العربية للبستاني قوله : (ثالوث) كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة اقانيم معا في اللاهوت تعرف بالأب والابن والروح القدس . . . وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م للميلاد ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للآب في وحدة اللاهوت، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الأب وأن الروح القدس منبثق من الأب ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩م حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن ايضا . . . وقد ذهب (كنت) إلى أن الآب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت وهي القدرة والحكمة والمحبة أو على ثلاثة فواعل عليا وهي الخلق والحفظ والضبط.

ويقول جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس : «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر . . . الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن . . . وإلى الابن الفدى، والى الروح القدس التطهير، غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الاعمال الآلهية على السواء» (نقلا عن تفسير المنار م ١٠ ط٢ ص٣٢٩، ٣٣٠ ٣٣١، ٣٣٣).

ويوضح الدكتور/ سيد عبد التواب الأستاذ بجامعة الأزهر العلاقة بين هذه الاقانيم فيقول : «يقال على مبدأ الاشياء وأصلها أقنوم، والجمع أقانيم، وهي ثلاثة : الوجود، والعلم، والحياة، والألفاظ الدالة على هذه الاقانيم الثلاثة في المسيحية هي : الله، كلمة الله، الروح القدس، واذا كان الله يقابله اقنوم الوجود فما ذلك إلا لأن الوجود به تظهر الاشياء وبفقده تختفي . . . أما الصلة بين الكلمة أو اللوغوس وبين أقنوم العلم فهي صلة واضحة لأن اللوغوس من معانيه العقل، والصلة بين العقل والعلم ظاهرة لأن عقل الأشياء وعلمها إدراكها، إذن فمعناهما واحد تقريبا، كذلك الصلة بين الروح القدس وأقنوم الحياة صلة واضحة أيضا، حيث أن الروح مبدأ الحياة والقوة المصرفة لشئون المادة (العقيدة الدينية في ضوء الفكرين المسيحي والاسلامي ص١٤٤).

٢ ـ الكُنه هو الحقيقة ولا يمكن لمخلوق مهما أوتى من الصفاء والاصطفاء ان يصل الى كنه الله بالمعرفة لأنه إذا كان أي إنسان لا يستطيع معرفة كنه نفسه وذاته فمن باب أولى لا يستطيع معرفة كنه الله تعالى.

٣ ـ وهل كان الله سعيدا بصَلْب عيسى وقتلْه كما تدّعُون ؟ وهل كان الله سعيدا باستهزاء اليهود بابنه وحبيبه ؟ وأين الوحدة التامة بينهما والتي ادعاها الكاتب ؟ ومما لا شك فيه أن الله كان حزينا في وقت من الأوقات ـ وليكن وقت صلب عيسى ـ فهل انتفت عنه الألوهية لوجود الحزن الذي هو منافٍ للسعادة ؟ ألم يكن حزينا حين قال عيسى ابنه «نفسي حزينة جدا حتى الموت» (متى ٢٦ : ٣٨) وحينئذ ألم تنتف السعادة عن الله ؟ وحينئذ هل انتفت الألوهية ؟ وكيف استمر وجود العالم بعد ذلك ؟ وحتى لو قيل إن الصَّلب وقع على الجسد فقط فإن هذا قد تسبب في حزن الابن ـ بدليل استغاثته بأبيه ـ وبالتالي حزن الأب وهذا ينفي السعادة عن الله مما يترتب عليه انتفاء الالوهية.

ذاته شخصا آخر[1] يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته[2] ويكون بالتالي صورة ناطقة له، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لِحبِّه إياه[3]، ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وبادل الابن الأب المحبة ووجد فيه هو أيضا سعادته ومنتهى رغباته، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت رُوح القدس، هو الحب إذاً يجعل الله ثالوثا وواحدا معا.

ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذي حبس الله الآب محبته عليه إلا الابن ولو كان غير الابن، ولوكان خليقة محدودةً بشرا أو ملاكا لكان الله بحاجة الى مَنْ دُونَه كمالا[4]

---

١ ـ إذا وهب الله ذاته شخصا آخر فهل انتقلت الالوهية بهذا إلى عيسى أم بقيت مشتركة بينهما ؟ إن قلنا إنها انتقلت إلى عيسى فكيف صح هذا وهو لم يستطع أن يدافع عن نفسه وقت الصلب ؟! وبعد أن صُلِبَ ودُفن ـ كما يدعي النصارى ـ فمن الذي دبر شئون العالم في هذه الفترة ؟ وإن قلنا إنها كانت مشتركة بينهما فبعد صلب عيسى هل يدبر الله العالم بجزء من الألوهية ؟ وهل الألوهية تتجزأ وهي ليست أمرا ماديا محسوسا ؟ يقول الفخر الرازي : «والوجه الثالث وهو أنه إما أن يقال بأن الاله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الاله بكلِّيته فيه، أو حل بعض الآله وجزء منه فيه! والاقسام الثلاثة باطلة ، اما الاول فلأن إله العلم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولا بأن اليهود قتلوا إله العالم فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله ؟ ثم إن اشد الناس ذلا ودناءة اليهود فالاله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز (وأما الثاني) وهو أن الله بكلِّيته حل في هذا الجسم فهو أيضا فاسد لأن الاله (إن) لم يكن جسما ولا عرضا امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسما فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الآله، وإن كان عرَضا كان محتاجا إلى المحل وكان الآله محتاجا الى غيره وكل ذلك سُخْف (وأما الثالث) وهو أنه حلَّ فيه بعض من أبعاض الآله وجزء من أجزائه فذلك أيضا محال لأن ذلك الجزء إذا كان معتبرا في الالهية فعند انفصاله عن الاله وجب أن لا يبقى الاله إلهاً، وإن لم يكن معتبرا في تحقيق الآلهية لم يكن جزءاً من الاله فثبت فساد هذه الاقسام فكان قول النصارى باطلا (الفخر الرازي، مفاتيح الغيب. م٤ ج٨ ط١ ص ٨٧/٨٨).

٢ ـ وترتيبا على قوله هذا يكون الله محتاجا الى هذا الشخص الآخر ليحقق الله رغبته في السعادة فبدون السعادة تنتهي الألوهية ـ كما نص هو ـ وبدون هذا الشخص لا توجد السعادة ، لكن بوجوده تتحقق هذه السعادة التي هي شرط لتحقق الالوهية، وبذلك يكون الله محتاجاً إلى هذا الشخص!! ومن كان محتاجا لا يصح أن يكون آلهاً، حاشا لله أن يكون هكذا وبمثل هذا الادعاء الكاذب من أهل التثليث.

٣ ـ معنى هذه الجملة من هذا النص: أن وجود الابن سببه هذا الحب، فالحب سبب وجود الابن، ثم : هل الذات الآلهية يمكن ان تُوهَب وتُعطَى للغير ؟

وحين وهب الله ذاته واعطاها لعيسى ـ كما ادعى هذا الكاتب ـ فهل بقى الله موجودا بدون ذات ؟ ومن الذي كان يصرف العالم وقت هذا الزمن ؟!!

(٤) والكاتب هنا ـ وكما هي عقيدة جميع النصارى المنحرفين ـ يريد ان يثبت أن ذات عيسى لا تختلف عن ذات الله في شيء، فكلاهما من طبيعة واحدة، والألوهية التي لله هي نفسها الالوهية التي لعيسى ، وعدم الأوّلية لوجود الله تستلزم عدم الأولية لوجود عيسى، وهذا هراء وجنون، وبُعْد عن الحق والصراط المستقيم.

وعد ذلك نقصا في الله، والله منزه عن النقص[1]».

هذه بعض الاسباب التي قال بها العلماء الباحثون والمفكرون النصارى تبريرا للقول ببنوة عيسى لله، فأما السبب الاول والثاني فقد يكون قبولها أمرا سهلا ومعقولا، ولكن من الصعب على العقل والنفس، ومن غير المعقول منطقيا وفكريا أن يقبل إنسان متزن هذا السبب الثالث والذي قال به الأب بولس إلياس فضلا على أنه فكر خيالي إلى أبعد الحدود فإنه لا يمكن لعقول الخاصة ـ بَلْه العامة ـ إدراكه وفهمه مهما أوتيت من قوة الذكاء وصفاء الفكر، أضف الى هذا وذاك ان النص مليء بالمغالطات الدينية، والطعن في الذات الآلهية من انتقاص لشأنها وجلالها ـ وقد اشرت إلى هذا في الهامش ـ وهذا كله يستدعي من كل مؤمن بحق إنكار هذه الاكاذيب والاعراض عن مثل هذه الافتراءات، وتنزيه الذات الالهية عن الابن والصاحبة، وإثبات الوحدانية له تعالى وليس التثليث الذي لا يقول به الا من كان بعيدا عن الله بعيدا عن الدين الحق.

التثليث قبل النصرانية وكيف دخل اليها وكيف استمر :

يرى كثير من الباحثين في الأديان ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أن عقيدة التثليث التي يؤمن بها النصارى اليوم، والتي وضع بذرتها بولس ليست وليدة النصرانية الحقة، وليست فكرة مقطوعة الجذور عن الأفكار، والمعتقدات السابقة عليها، وانما هي فكرة تمتد بجذورها إلى الفلسفات الوثنية البعيدة في أعماق التاريخ، وكان حلقة الوصل في نقل هذه الفكرة من التاريخ القديم وصبغ رسالة عيسى بها هو بولس ـ شاؤول اليهودي ـ مؤسس النصرانية الحديثة.

فالمصريون القدماء والآشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان،

---

(١) الأب بولس إلياس، يسوع المسيح ص ٧٦/٧٧، والنص منقول عن كتاب : د/ أحمد شلبي، المسيحية ص ١٢٧/١٢٨.

كانوا يقولون بتعدد الآلهة، وكان هذا عقيدة شائعة في هذه الأوساط الوثنية الكافرة.

وإذا كان البابليون من أقدم الشعوب التي عددت الآلهة، فإنهم أيضا من أوائل الذين نظموا هذه الآلهة فجعلوها مجموعات كل مجموعة مكونة من ثلاثة آلهة، ذلك أنه بمضي الزمن خرج «الثنائي الأول (أنشار وكيشار) وهما وحدهما يمثلان جملة الأرض والسماء، وقد ولد منهما ثلاثة آلهة أخرى هم الثلاثي الأعظم . . (آنو، وإنليل، وإيًا) . . فآنوا الاله الأعظم رب السموات العلى، وإنليل رب الارض وما يعلوها من أجواء، أما إيًا ويدعى إنكي في السومرية فهو رب مياه المحيطات الأولى . . . (و) ثمة . . . ثلاثي ثان من الالهة وهو يتألف من : سن الآله القمر ، ومن ولديه : شمس (الآله الشمس) وعشتار[1]» وعشتار هذا هو الكوكب المعروف بالزُّهرة، وهو إله الصباح عند الصباح وإله المساء عند المساء.[2]

فالبابليون في النص السابق قد نظموا آلهتهم في تثليث، كذلك أيضا كان عند الهنود تثليث،» فقد كان عندهم (براهما) و (فشنو) و(سيفا) وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لآله واحد، أو كانوا يعبدون براهما إلها واحدا له ثلاثة أقانيم ، فهو (براهما) من حيث هو موجود، وهو (فشنو) من حيث هو حافظ، وهو (سيفا) من حيث هو مهلك[3]».

وبطليموس الأول أقام «معبدا عظيما هو معبد السرابيوم، كان يعبد فيه نوعا ما من ثالوث الأرباب مكونا من أوزرس وإيزيس وحورس، ولم يكن الناس يعدونها أربابا منفصلة بل هيئات لآلهٍ واحد.[4]».

والدكتور محمد البهي يرجع بفكرة التثليث النصرانية الى الفلسفة الاغريقية التي تشبع بها بولس فيقول عن هذا الثالوث النصراني :

---

١ ـ ل. دولابورت، بلاد ما بين النهرين (تعريب مارون خوري) ص ١٥٩ ـ ١٦١

٢ ـ المرجع السابق ص ١٦٢

٣ ـ د/ أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى (ط٢ عام ١٩٦٦) ص٤٨

٤ ـ Ashort History of the World .P. 109

نقلا عن الدكتور/ أحمد شلبي من كتابه : المسيحية (ط٧) ص ١٣٢.

«تسمية هذه الأمور بالأقانيم أو الأصول يرجع إلى أثر الفلسفة الاغريقية في تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة يرجع إلى المصدر نفسه ايضا لان مانراه في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ(مُثُل) أفلاطون، فقد جعلها أصول هذا (الوجود) واعتبر هذا الوجود ظِلاًّلها، وشبيها بها فقط، كما يذكرنا بـ(ثالوث) أفلوطين المصري الذي يتمثل في الواحد، والعقل، ونفس العالم، ولو فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعاني الثلاثة في المصدر النصي المسيحي وجدناها : الله، كلمة الله. الرُّوح القُدُس»[1].

فإذا كنا قد علمنا أن بولس تشرب من هذه الثقافات وتأثر بها، وبأفكارها ـ كما قال بهذا الباحثون والمؤرخون سابقا ـ وعرفنا أن عيسى ـ عليه السلام ـ «لم يقل عن نفسه إنه «ابن الله» وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل ـ بالنسبة إلى اليهود ـ سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الانجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافات اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الانجيل الرابع»[2]

إذا عرفنا هذا كله أصبح من المؤكد لدينا أن بولس هذا لم يبدأ بدعوى بُنُوَّة عيسى من فراغ، ولم يقرأها في إنجيل عيسى، ولم تأتِه وحْياً إلهامياً، وإنما كانت فكرة كامنة في أعماقه زرعها في بيئته وجعل منها نصرانية جديدة، ثم نماها وسلَّمها إلى تلاميذه من بعده يبشرون بها في العالم اجمع.

وحينئذ كيف أدخل بولس هذه الفكرة الى النصرانية الحقة ؟ وكيف استمرت هذه الأكذوبة ؟ وكيف صدقها الناس وآمنوا بها ؟

لمعرفة البداية لدخول هذه الاكذوبة المفتراة على الله وعلى عيسى الى النصرانية الحقة فإننا نذكر بما أثبتناه سابقا من رؤياه في طريق دمشق التي قام بعدها يَكْرِزُ في المجامع بأن عيسى ابن الله، فهذا التكريز كان الخطوة الأولى والخطيرة في طريق

---

١ د/ محمد البهي . الجانب الالهي في التفكير الاسلامي (ط٤) ج١ ص ١١٣/ ١١٤.

٢ ـ شارل جنيبر ، المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٩.

التثليث، فلقد أعلن بولس أن المسيح عيسى هو ابن الله[1]، وأن هذا المسيح له طبيعة تختلف عن طبيعة البشر، فهو وإن كان قد نزل من مريم إلا أن له طبيعتين : إلهية وإنسانية واتخذ صورة عبد[2]، وتحدر من ذرية إبراهيم حسب الجسد.[3]

واذا كان عيسى من طبيعة إلهية ـ كما ادعى بولس ـ والنصرانية تؤمن بالله لأنها في الأصل ديانة سماوية، فحسب دعوى بولس يكون الله في المرتبة الأولى من هذا الثالوث الجديد، وعيسى لأنه ابنه يكون في المرتبة الثانية، وهذا الترتيب هو ماعناه بولس يقوله : «يقول بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله . . . النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح»[4].

وهذه العقيدة الجديدة ـ بنوة عيسى لله ـ التي ادعاها بولس ونقل بها النصرانية الحقة من التوحيد إلى الشرك لم تثبت في قلوب الناس بين يوم وليلة، ولم يتفقوا جميعهم على قبولها والأخذ بها منذ أول الامر، فهذه الفكرة وإن كانت قد استهوت أفئدة كثير من الجماهير إلا ان هناك من رفضها وعارضها، فقد احتد الصراع بين بولس وأنصاره المؤمنين ببنوة عيسى ـ عليه السلام ـ لله تعالى، وبين المعارضين والرافضين لها من الحواريين وأتباع عيسى الحقيقيين، وأصبح بولس والتعدد في الألوهية ومؤيدوه في اتجاه، وأتباع عيسى الحقيقيون والتوحيد في اتجاه آخر، وقد دفع هذا ببولس الى أن يراسل أتباعه في الضلال يحذرهم من أي دعوة مخالفة لدعوته، فأرسل إلى تلميذه تيموثاوس «أقم في إفسس كما سألتك لما انطلقت إلى مكدونية، ووَصِّ قوماً ألا يأتوا بتعليم آخر ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لأحَدَّ لها مما ينشيء مباحثات دون بنيان الله الذي في الايمان، وإنما غاية الوصية المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان لارئاء فيه، وقد زاغ عن ذلك قوم فعدلوا إلى الاقوال الباطلة زاعمين أنهم يكونون

---

١ ـ رسالة بولس الى رومية ٨ : ٣ وغلاطية ص ٤ : ٤.

٢ ـ رسالة بولس الى فيلبي ٢ : ٦/٧.

٣ ـ غلاطية : ٣ : ١٥ .

٤ ـ كورنتوس الثانية ١ : ١ ـ ٣.

معلمي النـامـوس وهـم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يثبتون . . ياتيموثاوس احفظ الوديعة وأعرض عن الكلام . . . المتلبس بالبدع وعن مناقضات ما يسمى بالعلم زُوراً الذي انتحله قوم زاغوا عن الايمان»[1] .

وكان لابد من ظهور أناجيل أخرى غير إنجيل عيسى تغذي فكرة بنوة عيسى لله ، وتنميها وترغب الناس في الأخذ بها ، وكان لابد من ظهور أناجيل أخرى تؤيد توحيد الألوهية وتناصره وتعارض التعدد ، وبهذا ظهرت أناجيل كثيرة ومتعددة ، منها ماأخذ بفكرة بولس هذه ، ومنها ماظل متمسكا بعقيدة الألوهية الحقة والوحدانية الخالصة التي نزلت بها الكتب السماوية على رسل الله تعالى .

وقـد وضعت دائـرة المعـارف الامـريكية قائمة بالأناجيل المرفوضة من الكنيسة والمجامع الكنسية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

إنجيل برنابا ـ إنجيل توما ـ إنجيل بطرس ـ إنجيل العبريين ـ انجيل الناصريين ـ انجيل الاثنى عشر . . الخ[2] .

استمر الخلاف والصراع بين اصحاب التعدد من أتباع بولس وأصحاب التوحيد من النصارى الحقيقيين ، واحتدم الجدال بين أناجيل التعدد وأناجيل التوحيد ، ولم يقفل باب الخلاف حول هذه القضية إلا بالمجامع المقدسة التي اتخذت قرارات فاصلة في هذا الشأن إذ أقرت بألوهية عيسى أول الأمر ثم اتبعت هذا بإقرار القول بألوهية الروح القدس ، يقول سعيد بن البطريق مصوِّرا هذه الصراعات :

«فبعث قسطنطين الملك فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة «نيقية» ـ بعد سنة وشهرين ـ ألفان وثمانية وأربعون اسقفا وكانوا مختلفي الآراء والأديان فمنهم من كان يقول : المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وهم البربرانية ، ويُسمَّون «المريميين» .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهي مقالة «سابليوس» وشيعته .

---

(١) تيموثاوس الاولى ١ : ٣-٧ ، ٦ : ٢٠ / ٢١ .

(٢) نقلا عن كتاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، احمد عبد الوهاب ط سنة ١٣٩٨هـ / سنة ١٩٧٨ ص٣٧ .

ومنهم من كان يقول : لم تحمل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهي مقالة «إليان» وأشياعه.

ومنهم من كان يقول : إن المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتـداء الابن من مريم، ولأنه اصطُفِيَ ليكون مخلِّصا للجوهر الانسي صحبته النعمة الآلهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه ثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس السميساطي (أو الشمشاطي) بطريرك أنطاكية وأشباعه وهم البوليقانيون.

ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة ، صالح ، وطالح ، وعدلٌ بينهما، وهي مقالة «مرقيون» اللعين وأصحابه . . . ومنهم من كان يقول : بتألُّه المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا.

فلما سمـع قسطنطين الملك مقالاتهم عجب من هذا الاختلاف وأخلى لهم دارا وأقام لهم فيها الأنزال وأمرهم أن يتناظروا لينظر مع من الدين الصحيح فيتبعه، فاتفق منهم هؤلاء الثـلاثمائة والثمانية عشر أسقفا على دين واحد ورأى واحد فناظروا بقية الأساقفة فأفلجوا عليهم حُججَهُم ، وأظهروا الدين المستقيم»[1] .

أما أهم ما قرره المؤتمرون في هذا المجمع ـ مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر ـ فهو هذا القرار الذي جعل المسيح[2] ربا، هو ابنُ الله ومساوٍ له الجوهر، أما صيغة القرار فهي : «نؤمن برب واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، نؤمن برب واحد، يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور من نور ، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به

---

١ ـ سعيد بن البطريق (أفنتيثيوس)، نظم الجواهر (طبع بيروت سنة ١٩٠٥م) ج٢ ص ١٢٦ .

٢ ـ معنى كلمة «المسيح» الممسوح بزيت البركة، لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والانبياء والكهان والبطاريق، ولكن هذه الكلمة أصبحت تطلق بعد ذلك على كل من يعاقب اعداءهم (أي بني اسرائيل) ويفتح لهم باب الخلاص من أسْرهم «عباس محمود العقاد» ـ الله، ص ١١٦ .

كان كل شيء، هذا هو الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس (أي صار إنساناً) وصلب على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقُبِرَ وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما كتب في الكتب، وصعد الى السماء وجلسَ على يمين الآب، وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»[1].

ويعلق الأستاذ عبد الكريم الخطيب على هذا القرار بقوله : «لقد كان من تدبير أصحاب الرأي في هذا المجمع أن يلتزموا نصوص الأناجيل ورسائل الرسل في تصوير هذا القرار وألا يأتوا بكلمة من عندهم حتى لا يكون هناك اعتراض لمعترض أو حجة لمخالف اذ كل كلمة بين يديه هي من واردات الانجيل والرسائل المتفق عليها ـ إجمالا ـ عند عامة المسيحيين، كما التقطت منها كلمات من التوراة وأسفارها.[2].

وحيث ثبت أن هذه الكتب فيها مغالطات وزيادة ونقص[3]، كان قرار المجمع خاطئا لأن ما بُنى على الخطأ يكون خطأ، وما قام على فاسد يكون فاسدا.

وعلى كل فالايمان الذي بشَّر به هذا القرار هو إيمان بالأب والابن فقط، أما الروح القدس فلم يتبوأ مكانه المعروف الآن لدى الكنيسة النصرانية في هذا المجمع، وظل هذا الوضع ـ وهو إغفال الروح القدس ـ حتى عام ٣٨١م حيث أمر الملك تيئودونيوس الكبير بعقد مجمع مقدس في مدينة القسطنطينية للنظر في مقولة «مكونيوس» بطريرك القسطنطينية التي ينادي بها في محيط كنيسته ويذيعها بين أتباعه وهي أن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات.

---

١ ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (مكتبة الخانجي بالقاهرة) جـ١ ص ٥٣/٥٢ ، الملل والنحل للشهرستاني (على هامش الفصل)جـ٢ ص ٥٢ .

٢ ـ عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن، (ط١) ص ٢٤٩ وقد وضع فقرات القرار بإزاء مصادرها من الكتب المقدسة ورسائل الرسل ص ٢٥٠ وقد تركتها اختصارا.

٣ ـ ذكر رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق» أن في كتب العهدين القديم والجديد ١٢٤ اختلافا، ١١٠ غلطا، وأورد ٤٥ شاهدا على التحريف بالزيادة، ٣٥ شاهدا على التبديل اللفظي، ٢٠ شاهدا على التحريف بالنقص، وانظر الفصل لابن حزم جـ٢ ص١ ـ ٥٩ فقد تحدث عن هذا التحريف بتوسع، وكذلك تفسير المنار ج٣ من ص ١٥٥ ـ ١٦٠ ، ٢٦٥، ج٥ ص ١٣٦، ج٦ ص٩٣، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٠٢، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١٢، ج٩ ص٢٥١، الى ص٢٩٩.

وقد اجتمع في هذا المؤتمر مائة وخمسون أسقفا يمثلون جميع الهيئات المسيحية وكان من بينهم «تيموثاوس» بطريرك الاسكندريةالذي اسندت إليه رئاسته.

وانتهى المؤتمر بإدانة «مكونيوس» ومن كان على رأيه من الأساقفة، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع نيقية، ثم إضافة نص جديد في شأن الروح القدس وكان النص كما يلي :

«نعم نؤمن بالرُّوح القدس، الرب المحيى، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعبودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين»[1].

ويقول ابن البطريق ذاكرا القرار ومعلقا عليه :

«زادوا في الأمـانـة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية، الايمان بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، وأثبتوا أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه، وثلاثة خواصّ ، وحْدَيَّة في تثليثٍ، وتثليثٌ في وحْدِيّةٍ، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إلّه واحد، جوهر واحد طبيعة واحدة».[2]

وكـما أن القرار الأول كان مستمدا من الأناجيل والرسائل التي كتبها جماعة من المدلّسين واختلط فيها الحابل بالنابل ، فكذلك كان هذا القرار حيث جمعت فقراته من تلك الكتب والرسائل التي شك فيها المسلم والنصراني الموحِّد على حد سواء.[3]

وما علقنا به على القرار الأول نورده هنا أيضا فهذا القرار باطل لأنه مبني على باطل هو تلك الكتب والرسائل التي امتلأت بالأغاليط والأكاذيب.

أضف الى هذا أن أغلب فقـرات القـرار مأخـوذة من رسـائل بولس وقد عرفنا

---

١ ـ د/ محمد شامة «بين الاسلام والمسيحية لابي عَبِيدَة الخزرجي ، تحقيق د. شامة (أكتوبر سنة ١٩٧٠م) ص ٥٨.

٢ ـ ابن البطريق ، نظم الجواهر جـ ٢ ص ١٤٥.

٣ ـ ايضا وضع الاستاذ عبد الكريم الخطيب فقرات القرار الثاني بازاء مصادرها من الكتب المقدسة ورسائل الرسل ص ٢٥٢/٢٥٣.

شخصيته وثقافته ، مما يؤكد أن القرار كله فاسد لأنه قام على قواعد فاسدة أرساها داعية ذو شخصية فاسدة.

وهكذا وضع بولس بذرة التثليث الذي استكمل بناؤه بعد ذلك واكتسب صفة الالـزام والقدسية بعد إقرار مجمع نيقية بألوهية المسيح ، وإقرار مجمع القسطنطينية الأول بألوهية الروح القدس.

وأصبـح التثليث بعـد أن أقـرته المجامع الكنسية ـ عقيدة دينية تأخذ بها جميع الكنائس ، وفريضة أصولية واجبة الاعتقاد من كل منتسب الى المسيح ـ عليه السلام ـ ومن اعتقد غير ذلك عُدَّ من الكافرين الملعونين والمطرودين من كنيسة الله ، وهذا كما طرد آريوس وشيعته ، وأعلن كفرهم بموجب قرار المجمع الاول وما تبعه من مجامع اخرى.[1]

ومع اتفاق النصارى ـ موحدِّهم ومثلِّثهم ـ على وجود هذه الألفاظ الثلاثة (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) إلا ان تفسيراتهم لهذه الالفاظ مختلفة اختلاف التضاد ، فبينما يرى الموحِّدون أن هذه الألفاظ الواردة في بعض الأناجيل يجب أن تُفهم على المعنى المجازي فقط التزاما بوحدانية الله تعالى وبُعْدا عن هذا التثليث والوثنية ، بينما يرى الموحِّدون هذا ، نجد أصحاب التثليث شِيَعا وأحزابا مختلفين «على تفسير المقصود من كلمات الآب والابن والروح القدس والكلمة . . . هل الابن مساوٍ للأب ؟ وهل هو ذو طبيعة واحدة أو ذو طبيعتين إلهية وإنسانية ؟ وهل هو إله أو إنسان مفضل على سائر البشر ؟ وهل يصدر الروح القدس من الأب وحده أو من الأب والابن معا وهل المسيح هو الكلمة أو الابن فقط أو ان الكلمة والابن مترادفان أو أن الكلمة هي الأب والآله ؟[2]

«فكثير منهم يقول الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو الحياة ، ومنهم من يقول : بل الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة وروح القدس هو القدرة ، وبعضهم يقول : إن الاقانيم الثلاثة : جواد حكيم قادر ، فيجعل الأب هو الجواد ،

---

١ ـ ابن القيم ، هداية الحيارى ص ٢٣٢ وما بعدها.

٢ ـ عباس العقاد ، الله ، ص ١٧٤.

والابن هو الحكيم، وروح القدس هو القادر، ويزعمون أن جميع الصفات تدخل تحت الثلاثة . . . ومنهم من يعبِّر عن الكلمة بالعلم فيقولون موجود حيٌّ عالم، أو موجود عالم قادر، كما يقول بعضهم : ناطق، ومنهم من يقول موجود حي حكيم، ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم»[1] .

والحق في هذا أن تلك الألفاظ التي أقرتها المجامع الكنسية قد حَّملها أصحاب التثليث مالا تحتمل من المعاني، وألزموها من العقائد الوثنية مالم يقُل به عيسى ـ عليه السلام ـ ولا الانجيل الذي نزل عليه وحيا من المولى عز وجل.

وإذا كان الاساقفة والبطارقة قد اضطربوا في تفسيراتهم لهذه الالفاظ وبيان معانيها المرادة منها فإنهم أيضا قد اختلفوا، بل اضطربوا في فلسفة هذا الثالوث وتوضيح العلاقة بين أفراده.

فلسفة التثليث عند النصارى المثلِّثين :

وتبعا لأن عقيدة التثليث لم يقل بها عيسى ـ عليه السلام ـ وتبعا لهذا الاختلاف الذي ظهر بين القساوسة والبطاركة حول هذه العقيدة، وتبعا لوجود دعوة معارضة لهذا التثليث كان يبثها اصحاب التوحيد بين الناس، تبعا لهذا وذاك كان لابد لأصحاب التثليث من فلسفة هذه العقيدة وبيان العلاقة بين أفراد هذا الثالوث وتحديد مهمة كل واحد من هذا الثالوث المقدس عندهم، وذلك كي يتبين للعامة أن هذا الثالوث لابد منه لهذا الوجود، وأن الحياة لا تستمر بدون هذا الثالوث الآلهي.

لقد بدأت «المسيحية النظر في الآله ذي الأقانيم نظرا فلسفيا لاهوتيا تختلط فيه الفلسفة باللاهوت، ويمتزج فيه الواقع بالخيال، ويعمل العقل المسيحي في جد وبراعة في نسج ملحمة من أبرع الملاحم التي تصل السماء بالأرض وتخلط الله بالإنسان».[2]

---

١ - ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص ٩٤.

٢ ـ عبد الكريم الخطيب ، المسيح في القران ص ٢٥٣ .

ولا نغالي اذا قلنا إن مبدأ هذا التفلسف هو ما صدر عن مؤتمر القسطنطينية الأول الذي قال عنه ابن البطريق : «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية الايمان بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب الذي هو من الأب والابن مسجود له وممجد، وثبّتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وَحْديةٌ في تثليثٍ، وتثليثٌ في وحْديةٍ».

فالأساقفة في هذا المؤتمر قد جعلوا هذه الثلاثة من طبيعة واحدة، وأنها وان كانت ثلاثة أقانيم فهي أيضا ثلاثة وجوه، وثلاث خواص، ولكن هذا كله كيان واحد لاله واحد.

لكن كيف يكون ثلاثة أقانيم لكيان واحد ؟ وكيف تكون ثلاثة وجوه لاله واحد ؟ كيف يفهم الانسان وحدية في تثليث وتثليثاً في وحدية ؟

يوضح الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس[1] هذا بقوله :

«طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر ، الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، -والى الابن الفدي، والى الروح القدس التطهير ، غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الآلهية على السواء.

فهذا المتخصص والحائز على درجة علمية كبيرة أراد أن يوضح العلاقة بين هذه الأقانيم الثلاثة ويفلسفها، فإذا به يعقّدُها ويزيدها غموضا، والا فكيف نوفّق بين قوله : «فإلى الأب ينتمي الخلْق، وإلى الابن الفدى وإلى الروح القدس التطهير «وبين قوله : «غير أن هذه الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الالهية على السواء» ؟ إنه بعد أن خصص لكل أقنوم عملا خاصا به نراه يعود فيجعل الأقانيم الثلاثة ـ التي سماها آلهة ثلاثة ـ مشتركة في كل الأعمال، فكيف هذا ؟ إنه التخبط الذي أوقع المثلثين فيه اتباعهم لأفكار فلسفية إنسانية وثنية، ولو كانت أفكارا دينية حقة مالازمها هذا

١ ـ د/ يوسف بوست، قاموس الكتاب المقدس (نقلا عن تفسير المنار) م ١٠ ط٢ (دار المعرفة / بيروت ص ٣٣٣).

التخبط وهذا التعقيد والاضطراب.

ونأتي الى قسٍّ مثلّث آخر لعله يوضح لنا هذا العلم الرباني ـ على حد قولهم ـ الذي ألهمهم الله إياه فعرفوا حقيقة التثليث ووعَوْه، يقول القس بولس شباط :

«يرى النصارى ان الباري تعالى جوهر واحد، موصوف بصفات الكمال وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع وهي : الآب والابن والروح القدس، ويشيرون بالجوهر الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد الى الآب، وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته (أي الذي يعقل ذاته) الى الابن وبالجوهر الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته الى روح القدس، ويريدون بالجوهر ماقام بنفسه مستغنيا عن الظرف»[1].

فكيف يكون الله جوهرا ذا عقل مجرد وهو بنفسه جوهر عاقل، وهو عينه جوهر معقول ؟ وكيف للرجل العادي أن يعرف هذا الجوهر ذا العقول المختلفة الأوجه ؟ وكيف للنصراني المثقف ـ بلْه غير المثقف ـ أن يصل إلى معرفة هذه العلاقة بين أفراد هذا الثالوث ؟ وهل يجب على النصراني لكي يؤمن بهذا الثالوث أن يلغي عقله حتى لا يفكر في حقيقة هذا الثالوث ؟ (ربنا آمنا بما أنزلت واتَّبَعْنَا الرسول فاكتبْنا مع الشاهدين).[2]

ولا يُعتَرض على قولنا هذا بقضية الصفات الآلهية في الاسلام إذ بين هذا وما يقوله النصارى في التثليث فارق كبير، فهم يسندون الأعمال إلى هذه الأقانيم ـ كما قال جورج بوست ـ وهذه الأقانيم عندهم متساوية الجوهر، والجوهر ماقام بنفسه ـ كما قال بولس شباط ـ وهذا يعني أن هذه الاقانيم التي قالوا بها ذوات وليست صفات، فهم وإن سموها صفات «فهي في الحقيقة ذواتٌ بدليل أنهم يجوِّزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها وإلا لما جَّوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى»[3]

---

١ ـ القس بولس شباط، المشرع ص ١٣/١٤ نقلا عن : المسيحية لأحمد شلبي ص ١٣٥/١٣٦.

٢ ـ آل عمران /٥٢.

٣ ـ الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب م٦ ج١١ (ط١) ص ١١٨.

إبطال التثليث

أولا : إبطال التثليث بنصوص التوراة والإنجيل :

لما كان التثليث في الألوهية قولا متعارضا مع عقيدة التوحيد التي قالت بها جميع الأديان السماوية، ونطق بها الرسل والأنبياء ، كان لزاما علينا أن نبطل هذا التثليث جملة وتفصيلا، وأقصد بإبطال التثليث جملة؛ إبطاله من حيث هو مطلق تثليث دون نظر الى أفراد هذا التثليث، أما إبطاله تفصيلا فذلك إبطاله من حيث ادعاؤهم أن عيسى ابن الله وأنه إلّه حق من إلّه حق وأن روح القدس إله حق، وأن طبيعتها ـ عيسى وروح القدس ـ مثل طبيعة الله خالق السموات والارض الذي كان قبل كل شيء ، وبه تعالى كان كل شيء .

وباديء ذي بدء أقول : إن الكتب السماوية الثلاثة ـ التوراة التي نزلت على موسى والانجيل الذي نزل على عيسى والقرآن الذي نزل على محمد ـ هي الكتب السماوية الكبرى لكبرى الرسالات السماوية الثلاث : اليهودية، والنصرانية، والاسلام .

فإذا كان مصدر هذه الكتب الثلاثة واحد وهو الله تعالى، واذا كان الرسل الذين نزلت عليهم هذه الكتب قد التزموا بالتوحيد والدعوة إليه ـ كما عرفنا في التمهيد ـ وإذا كان القرآن الكريم الذي جاء مصدقا بالتوراة والانجيل ومهيمنا عليهما قد ندد بالشرك ودعا الى التوحيد، إذا كان الأمر هكذا كان الانجيل الذي نزل على عيسى داعيا أيضا الى التوحيد لأنه وحي إلهي نزل من رب العالمين، وماكان كذلك لا يخرج عن عقيدة التوحيد هذه، وأما ما نقرؤه في إنجيل اليوم من ألفاظ تدل على الشرك والوثنية والتثليث البغيض فالأديان الحقة مبرأة منها لأن الله لايغفر أن يشرك به فكيف يأتي في وحيه بألفاظ فيها شرك ووثنية ؟ حاشا لله أن يكون هكذا، أو أن يكون في وحيه مثل هذه الكلمات الوثنية .

وأما طريقتنا في إبطال التثليث ـ مطلق التثليث ـ فهذا يكون بدءا بأقوال التوراة

وما فيها من دلائل الوحدانية لأن عيسى ـ عليه السلام ـ قال : «لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل»[1]

والنصارى أنفسهم يعترفون بالتوراة ويقدسونها ويرون أنها وحْيٌ إلهي واجب عليهم اتباعه والعمل به والسير على هديه، لذلك فنحن نلزمهم بما في هذا الكتاب من دلائل التوحيد ثم نثنيِّ بالأناجيل الموجودة في أيدي الناس اليوم لأنها هي التي ثبَّتت قواعد التثليث وركزتها في عقول الناس، وأهلها ينسبونها إلى عيسى ـ عليه السلام ـ لذلك كان الرد على المثلِّثين بنصوص هذه الأناجيل التي تقول بما يخالف التثليث إلزاما للنصارى المثلِّثين في كتبهم وهذا أوقعُ وأثْبَتُ في هذا الباب وأَحْكَمُ في الرد عليهم وإبطال دعواهم في التثليث، أو ما يدعونه وحدةً في تثليث أو تثليث في وحَدةٍ.

أ ـ نصوص التوراة :

جاء في سِفْر الخروج ، الاصحاح (٢٠) «أنا الرب إلهك الذي اخرجك من أرض مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرى تُجاهي ، لا تصنع لك منحوتا، ولا صورة شيء مما في السماء، من فوق ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه، من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إلهٌ غيور» .

إنه لنص صريح في نفى الشرك عن الله تعالى وإثبات الوحداتية له، فلا إلٰه من السماء يكون مع الله، ولا إله من الأرض يكون شريكا لله، ولا إله من المياه يكون معبودا من دون الله، فإذا ماجاء النصارى المثلِّثون بعد ذلك ليقولوا إن عيسى إله لانه نزل من السماء أو لأنه يجلس عن يمين الله فدعواهم هذه باطلة لأن التوراة التي يؤمنون بها تنفى الشريك أن الله وتُثْبِتُ له الوحدانية .

أيضا جاء في سفر الخروج : «احفظ ماأنا آمرك به اليوم . . . لاتسجد لالٰهٍ آخر . . . آلهةً مسبوكةً لا تصنعْ لنفسك» الاصحاح (٣٤) .

---

١ ـ انجيل متى (٥ : ١٧) .

وفي سفر أشعيا (الاصحاح ٤٤) «أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري . . . أنا الرب صانع الكل ، ناشر السموات وحدي وباسط الأرض بنفسي» .

هذا النص من سفر أشعيا ناقض لما وضعه النصارى في أمانتهم ، فعيسى الذي قالوا إنه مولود من الأب قبل كل الدهور ينقضه مافي هذا النص من أن الله هو الأول وهو الآخر وهو صانع الكل بما في ذلك عيسى عليه السلام ، وحسب هذا النص فالله صانع الكل وليس كما يدعي المثلثون أن عيسى كان به كل شيء .

ونختتم هذه النصوص بقول سفر أشعيا ، الاصحاح ٤٥ : «أنا الرب وليس آخر ، ليس من دوني إلّه . . . أنا الرب وليس آخر ، أنا مبدع النور ، وخالق الظلمة ، ومُجرِى السلام . . . أنا صَنعتُ الأرض وخلقت البشر عليها» .

هكذا رأنا في التوراة نصوصا تثبت الوجدانية لله تعالى ، فإذا كان عيسى ـ عليه السلا ـ ماجاء لنقض مافيها ، وما جاء لينقض ماجاء به موسى ، كان لزاما على هؤلاء المثلّثين أن يعودوا الى رشدهم ويتبرأوا من التثليث ويعودوا الى التوحيد .

ب ـ نصوص الأناجيل :

١ ـ وردت بالأناجيل نصوص كثيرة تثبت وحدانية الله تعالى ، وتنفي عنه الشرك بكافة أنـواعـه ، وحينئذ لامجال لوجود التثليث لانه لايكون الشيء واحدا وثالوثا في وقت واحـد ، كما أن اثبـات التثليث إشراك بالله ، وهـذا يتعارض مع الوحدانية الثابتة بالأناجيل المنسوبة أقوالها إلى عيسى ـ عليه السلام ـ وهذا كما جاء في إنجيل يوحنا على لسـان عيسى «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيق وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[1] .

فهذا النص قد اشتمل على ثلاث كلمات كلها تثبت الوحدانية لله تعالى وتنفي عنه الشرك والتثليث وأول هذه الكلمات قول عيسى «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك

---

١ ـ إنجيل يوحنا ١٧ : ٣

أنت الالـه الحقيقي» فعيسى هنـا يعرف الناس بالطريق الصحيح لتحصيل الحياة الأبـدية ألا وهـو معـرفتهم بأن الله وحده هو الذي يستحق الألوهية دون غيره من المخلوقات ولو كان عيسى إلها كما يدعي النصارى لكان قد قال : أنت وأنا آلهان حقيقيان ـ مثلا ـ ولكنه عليه السلام لم يثبت هذا لنفسه، وإذن فقول مؤتمر نيقية عن عيسى إنه إله حق من إله حق هو قول مخالف لما جاء به عيسى نفسه من أن الحياة الأبدية هي في معرفتهم بوحدانية الله وإيمانهم بها.

أيضا قوله على السلام «وحدك» يخرج بهذه الكلمة نفسه من أن يكون مشاركا لله في هذه الألوهية الحقة ويثبت الوحدانية لله تعالى، فليس عيسى مشاركا لله في شيء من هذا أبدا.

كما أن قول عيسى ـ عليه السلام ـ «يسوع المسيح الذي أرسلته» اعتراف منه عليه السلام بأنه مرسل من الاله الحقيقي الواحد في هذه الالوهية، ولو كان عيسى إلّها كما يدعي أتباع بولس لما أسند إرساله بالرسالة إلى غيره ولكان قد أسندها لنفسه باعتباره إلها. واذ لم يقل عيسى هذا عن نفسه كان قول مؤتمر نيقيه عن عيسى بأنه مساوٍ للآله الحق في الجوهر وأنه الذي به كان كل شيء ، ادعاءً باطلا لاسند له من الحقيقة.

ونضيف الى هذا ما قاله رحمه الله الهندي في هذا بعد إيراده لذلك النص :
«فبيَّن عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى عليه السلام رسوله ، وما قال : إن الحياة الابدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي ، وأن عيسى إنسان وإله أو أن عيسى إلّه مجسَّم . . . وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله واعتقاد الرسالة للمسيح فضدهما يكون موتا ابديا وضلالا بيِّناً . . . وكونُ المسيحِ رسولاً ضدٌّ لكونهِ إلّها لأن التغاير بين المرسِل (بكسر السين) والمرسَل (بفتح السين) ضروري»[1]

٢ ـ وهذا نص آخر من إنجيل ثان يثبت وحدانية الله تعالى، مبينا ان التواصي بهذه الوحدانية هو أولى وأهم، وأنه أفضل الوصايا ، ومن أخذ بهذه الوصية لا يكون بعيدا

---

١ ـ رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، (طبعة الشئون الدينية بدولة قطر) جـ٢ ص٢٥ .

عن ملكوت الله ، يقول مرقس في انجيله :[1]

«فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله : أية وصية هي أولى الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول الوصايا إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، وتحب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، وهذه هي الوصية الاولى ، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى وأعظم من هاتين الوصيتين، فقال له الكاتب : جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه ـ أي الله ـ واحد وليس آخر سواه، ومحبته من كل القلب. ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هي افضل من جميع المحرقات والذبائح ، فلما رآه يسوع أنه أجابه بعقل قال له : لست بعيدا عن ملكوت الله» .

هذا نص امتلأ بإثباتات كثيرة للوحدانية ، ونفي أكيد للشرك والتثليث، فكون عيسى يوصي بهذا القول يكون مؤمنا بوحدانية الله كما هو الحق ، بريئا من القول بالشرك والتثليث وهل يعقل أن يوصي عيسى بهذا ـ أي بالوحدانية ـ ثم ينسب الى نفسه الألوهية بعد ذلك فيكون مخالفا لأمر الله وهو رسول ؟ ولو كان عيسى قد أوصى بالوحدانية ثم ادعى لنفسه الألوهية لتناقضت أقواله فانصرف الناس عنه ـ وبخاصة أن اليهود كانوا يتربصون به الدوائر ـ فاضمحلت دعوته وتشوهت رسالته، ولكن مثل هذا لم يكن فدلَّ هذا على أن عيسى لم يصدر منه قول بألوهية منسوبة إليه وأن هذا ادعاء افترى عليه ممن جاءوا بعده .

وفي قول عيسى «الربُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ» يتضمن إثبات ربوبية الله لعيسى ولكل الناس، وأن الله وحده هو المتصف بالربوبية والألوهية، وحينئذ يكون قول المثلثين بأنه ـ أي عيسى ـ ربّ أو إلهٌ قولا مخالفاً لما قاله المسيح عن نفسه واثبتته الأناجيل التي يقرون بصحتها وصدقها .

وفي قول عيسى «ليس وصية أخرى أعظم من هاتين» دَرْءٌ لدعوى ألوهية عيسى وبالتالي لدعوى التثليث، وذلك أن عيسى ـ عليه السلام ـ لو كان إلها، ولو كان الله

---

١ ـ انجيل مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤.

ثالث ثلاثة لكانت وصيته بهذا أعظم من هاتين الوصيتين، لكن لأن الوحدانية الخالصة ـ وليس وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ـ أفضل اعتقاد واعلاه كانت الوصية بها أفضل وأعلى من أي شيء ومن كل شيء.

وفي قول الكاتب لعيسى «جيدا يامعلم بالحق قلت» شهادة تبريء عيسى من دعوى الألوهية، إذ لو كان عيسى إلها ـ كما يدعي المثلِّثون ـ لكان قد قال هذا الكاتب «جيدا يا إلهي، أو جيدا يارب، أو جيدا يا ابن الله، ثم هل يحتاج الاله لمن يشهد له بالاجادة والقول الحق ؟

٣ ـ وفي نص آخر من إنجيل مرقص[١] يقول المسيح ـ عليه السلام ـ «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب».

ويعلق رحمة الله الهندي على هذا النص من الانجيل قائلا :

«هذا القول ينادي على بطلان التثليث ، لأن المسيح عليه السلام خصص علم القيامة بالله، ونفى عن نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين وسوَّى بينه وبينهم في هذا، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلها، سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالانقلاب فإنه يقتضي أن يكون الأمر بالعكس ولا أقل من أن يعلم الابن كما يعلم الأب، ولما لم يكن العلم من صفات الجسد فلا يجري فيه عذرهم المشهور أنه نفي عن نفسه باعتبار جسميته، فظهر أنه ليس إلها لا باعتبار الجسميةلله ولا باعتبار غيرها[٢]».

كما أن نفْي عيسى علمه بيوم القيام وتخصيصه هذا بالله تعالى يدل دلالة قاطعة على أنه ليس من طبيعة مساوية لطبيعة الله تعالى لأنه لو كانت الطبيعتان متساويتين لكانتا ايضا متساويتيت في تحصيل المعارف والمعلومات إذ لا يعقل أن يكون عيسى إلها من إله ولا يعلم بيوم القيامة كما علمه الاله الحق، وليس من العدل أن يكون مساويا للأب في الجوهر ولا يتساوى معه في العلم بيوم القيامة.

١ ـ إنجيل مرقص ١٣ : ٣٢.

٢ ـ رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ٢ ص٢٩.

٣ ـ إنجيل لوقا ٣٣ : ٤٦.

٤ ـ ونختتم هذه المجموعة بنص أخير جاء في إنجيل يوحنا[١]، يقول فيه :

«أمضي الى الآب لأن أبي أعظم مني» فهذا النص رد واضح على دعوى مساواة عيسى ـ عليه السلام ـ للاله الحق في ألوهيته ، أو مساواته عليه السلام للمولى عز وجل في الجوهرية .[٢]

وبعد :

فهذه بعض النصوص الانجيلية ـ وليس كلها ـ أوردتها ليكون الأمر واضحا كل الوضوح لكل ذي عينين، ولمن انعم الله عليه بالعقل لينظر فيها ويتفكر في معانيها ومضمونها ثم ليسأل نفسه :

هل يعقل ممن قال هذه الكلمات ، وشهد لله بالوحدانية، وأثبت لنفسه الانسانية، هل يعقل أن يدعي لنفسه الألوهية ؟ هل يمكن أن يقول بأن الله ثالث ثلاثة كما قالت النصارى المثلثة ؟ اللهم لا، وإنما هذا افتراء ادعاه قوم آخرون ليسوا على ملته وان كانوا من بني جنسه وينتسبون إلى رسالته وهو منهم براء، والنصرانية الحقة بريئة من دعواهم الكاذبة.

ثانيا : إبطال التثليث بنصوص القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو الوحي السماوي الذي كتب في عهد الرسول الذي نزل عليه وبقي كما هو حتى يومنا الحاضر ـ وسيبقى إن شاء الله ـ دون تبديل أو تغيير، أو نقص أو زيادة، وهو الكتاب المصدق لما سبقه من كتب سماوية، وهو المهيمن عليها كما قال عز وجل : «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا

---

١ ـ انجيل يوحنا ١٤ : ٢٨ .

٢ ـ ليس معنى هذا أني متفق مع النصارى المثلثين في إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى ، فحاشا لله أن يكون خاضعا للمعايير البشرية، وإنما فعلت هذا من باب مجاراة الخصم دون اعتقادي برأيه، أو الأخذ بقوله.

عَلَيْهِ[1]» وهو آخر الكتب السماوية إذ ليس بعده كتاب لأنه ليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسول ولا نبي .

لكل هذه الاعتبارات فإنه إذ أبطل القرآن الكريم دعوى التثليث وألوهية عيسى وأثبت الوحدانية لله تعالى ، فليس إله غيره وليس كمثله شيء ، كان قوله حقا وصدقا ، ووجب على هؤلاء المثلِّثين أن يعودوا إلى رشدهم ويتمسكوا بوحدانية الله تعالى ويتبرأوا من نسبة الألوهية إلى عيسى ومن دعوى التثليث التي ابتدعوها .

أما ابطال القرآن الكريم لهذه الدعوى وإثبات الوحدانية لله تعالى فذلك قوله عز وجل : «يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا»[2] .

ففي هذه الآية تحذير من المولى عز وجل للنصارى المثلثين حيث ادعوا أن الله ثالث ثلاثة في حين أن القول الحق الذي يجب اعتقاده هو أنه واحد لا شريك له ، وكيف يكون لله شريك أو ولد وهو سبحانه له مافي السموات ومافي الأرض ؟

يقول الفخر الرازي : «واعلمْ أن مذهب النصارى مجهول جدا ، والذي يتحصل منه أنهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة ، إلا أنهم وان سمَّوها صفات فهي في الحقيقة ذوات بدليل أنهم يجوِّزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها وإلا لما جوَّزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى ، فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذواتٍ متعددة قائمة بأنفسها وذلك محض الكفر ، فلهذا المعنى قال تعالى : «ولا تقولوا ثلاثة انتهوا»[3] .

---

١ ـ المائدة ـ ٤٨ .

٢ ـ النساء ـ ١٧١ .

٣ ـ الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب م٦ ج١١ (ط/١) ص ١١٨ .

وهذا نص آخر من القرآن الكريم يُكفِّر الله به كل من يجعل له شريكا في ملكه فقال : « لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ . »[1]

يقول ابن كثير في تفسيره بعد ذكر هذه الآية : «والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة، قاله مجاهد وغير واحد، ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك كُفَّارهُم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم عُلُّوا كبيرا، قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا . . . وكل فرقة منهم تكفِّر الاخرى، والحق أن الثلاثة كافرة، وقال السُّدِّي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمَّه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار، قال السدي : هي كقوله تعالى . . . «وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمِّيَ إلهَيْنِ من دُون الله قال سبحانَك» الآية ، وهذا القول هو الأظهر والله أعلم.

«وما مِنْ إلهٍ إلا إلهٌ واحد» أي ليس متعددا بل وحده لاشريك له إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ، ثم قال تعالى متوعدا لهم ومهددا «وإن لم ينتهوا عما يقولون» أي من هذا الافتراء والكذب «ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم» أي في الآخرة من الأغلال والنكال»[2].

وهاتان الآيتان ـ الآية ١٧١ من النساء، والآية ٧٣ من المائدة ـ تشملان جميع طوائف التثليث، كما تشملان جميع مذاهبهم، فسواء قالوا بتثليث الأقانيم أو قالوا بالاتحاد والحلول فكل آية تشمل هذا كله، يقول صاحب كتاب «منحة القريب» : قوله تعالى عن النصارى «ولا تقولوا ثلاثة» و «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» وقد قيل المراد به قول النصارى باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد وهو قولهم بالجوهر الواحد الذي له ثلاثة أقانيم أي ثلاث صفات وخواصّ ، وقولهم : إنه هو

---

١ ـ المائدة /٧٣.

٢ ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٨١.

الله وابن الله هو الاتحاد والحلول، فعلى هذا تكون تلك الآية على قولهم بتثليث الأقانيم وهاتان في قولهم بالحلول والاتحاد، فالقرآن على هذا القول رد في كل آية بعض قولهم كما أنه على القول الأول رد في كل آية على صنف منهم.

وقيل إن المراد بذلك جعلهم المسيح إلها وأمه إلها مع الله كما ذكر ذلك في قوله «وإذْ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . . الآية» . ويدل على ذلك قوله تعالى «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد . . الآية، الى قوله كانا يأكلان الطعام ، فقوله وما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قَبْله الرسل وأمه صدِّيقة عقب قوله «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» يدل على التثليث الذي ذكره الله عنهم اتخاذ المسيح ومريم إلهين ، وهذا واضح على قول من حكى عن النصارى أنهم يقولون بالحلول في مريم والاتحاد بالمسيح وهو أقرب إلى تحقيق مذهبهم، وعلى هذا فتكون كل آية مما ذكره الله في أقوالهم تعم جميع طوائفهم وتعم أيضا قولهم بتثليث الأقانيم وبالاتحاد والحلول، فتعم أصنافهم وأصناف كفرهم ليس يختص كل آية بصنف . . . ولا يختص آية بتثليث الأقانيم وآية بالحلول والاتحاد بل هو سبحانه ذكر في كل آية كفرهم المشترك ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات، وكل صفة تستلزم الأخرى، أنهم يقولون : المسيح هو الله، ويقولون هو ابن الله، ويقولون إن الله ثالث ثلاثة حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، هذا بالاتحاد وهذا بالحلول ويبين إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير الأقانيم ـ وذلك يتضمن جميع كفر النصارى»[1] .

وهكذا نجد القرآن الكريم لم يترك للمثلِّثين منفذا ينفذون منه إلَّا سَدَّهُ عليهم لأن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفِرُ مادون ذلك لمن يشاء.

---

١ ـ الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (ط٢ ، منشورات دار ثقيف ١٩٧٨) ص ١٣٧/١٣٨ .

ثالثا : إبطال التثليث بالأدلة العقلية :

عرفنا سابقا أن النصارى المثلثين يقولون بالأقانيم الثلاثة، وهذا إما على الاستقلال الذاتي لكل أقنوم، أو حلول أقنوم العلم في جسد المسيح، أو اتحاده به، وسواء قالوا بالاستقلال أو بالحلول أو بالاتحاد فكل هذا باطل وفاسد، ولا يصح شيء من هذا أبدا لأن الله واحد لاثاني له ولاثالث، ولا يجوز حلول صفاته أو اتحادها بالغير لما في هذا من نقض لوحدانيته تعالى، فأما إبطال هذا بالأدلة العقلية فذلك :

١ ـ سبق أن ذكرنا اعتقاد النصارى بتمايز الأقانيم عن بعضها البعض، وهذا يعني أن بين الأقانيم أمرا مشتركا يجمعها وهو الأقنومية أو الوجوب الذاتي ـ وإلا لم يمكن اجتماعها في ذات واحدة حسب رأيهم ـ وبين الأول والثاني ما يميزها عن بعضهما البعض وإلا كانا شيئا واحدا ، وكذلك بين الثاني والثالث، وبين الثالث والأول.

وحينئذ فالذات المكونة من هذه الاقانيم الثلاثة تكون مركبة مما به الاشتراك وما به التمايز، وكل مركب يحتاج إلى اجزائه، والمحتاج لا يكون إلها، يقول رحمة الله الهندي : «لو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميِّز ـ بالياء المشددة المكسورة ـ غير الوجوب الذاتي لأنه مشترك بينهم، ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين، وكل مركب ممكن لذاته فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته[1]».

٢ ـ أنتم تقولون بين هذه الاقانيم امتياز حقيقي وحينئذ فهذا الأمر الذي وقع به التمايز بين الأقانيم هل هو صفة كمال أم لا؟ ان قلتم إنه صفة كمال أدى هذا إلى النقص بين هذه الأقانيم، وحينئذ لا تصلح أن تكون آلهة لأن صفة الكمال التي عند الأقنوم الأول غير موجودة عند الأقنوم الثاني ـ وإلا لم يحصل التمايز ـ وصفة الكمال التي عند الأقنوم الثاني غير موجودة عند الأقنوم الثالث، وهكذا تكون صفات الكمال هذه غير موجودة عند الكل، وعدم وجودها وهي صفات كمال يؤدي الى صفات النقص في هذه الأقانيم، أضف الى هذا أن عدم وجود صفة الكمال في الاقانيم الثلاثة يخالف ما عليه

---

١ ـ رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ١ ص ٥٨٥ .

النصارى من أن كل أقنوم يشتمل على جميع صفات الكمال.

أما إن قلتم إنه صفة نقص فهذا أيضا ينفي ألوهية هذه الأقانيم لأن من كان ناقصا لا يصح أن يكون إلها، يقول رحمة الله الهندي :

«إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون ، فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم وهو خلاف ما تقرر عندهم من أن كل اقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني الموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنزيه الله منه.»[1]

٣ ـ اليعقوبية تقول بالاستقلال الذاتي لكل أقنوم من الأقانيم[2] الثلاثة، وهذا يعني أن كل أقنـوم له وجوده الخاص، وحياته الخاصة، وعلمه الخاص، وهذا ما أعلنه الدكتور يوسف بوست في قاموس الكتاب المقدس حيث قال : «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر، الله الآب والله الابن والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، والى الابن الفدى، وإلى الروح القدس التطهير، غير ان الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الآلهية على السواء . . . وتطلق نعوت القدير على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حِدَته»[3].

ونحن بدورنا نسأل : إذا كان الأب أقنوما والروح القدس أقنوما فمعنى هذا أن الثلاثة متمايزة عن بعضها البعض ـ وإلا لما تقاسمت الأعمال الآلهية ـ وإذا كانت هذه الثلاثة متمايزة لم يصح أن يقال إنها أقانيم ثلاثة لذات واحدة لأن الثلاثة المتميزة تعني الكثـرة وهذا يتعارض مع الوحدانية، هذا فضلا عن أن التركيب الحقيقي يقتضي احتياج كل جزء منها إلى نظيره الآخر، وما يحتاج إلى الغير لا يجوز أن يكون إلها.

يقول رحمه الله الهندي : «لو وُجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا، فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء (أي تعدد واجب الوجود) يلزم أن لايكون

---

١ ـ المرجع السابق ص ٥٨٥ .

٢ ـ د/ سيد عبد التواب، العقيدة في ضوء الفكرين المسيحي والاسلامي (ط١) ص ١٤٥.

٣ ـ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (تفسير القرآن العظيم) م١٠ (ط٢) ص ٣٣٣.

الله حقيقة محصلة بل مركبا اعتباريا فإن التركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء فإن الحجر الموضوع بجنب الانسان لا يحصل منها أحدية، ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات ، فالواجب لا يفتقر إلى الغير، وكل جزء منفصل عن الآخر غيره، وإن كان داخلا في المجموع، فإذا لم تفتقر بعض الاجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركبا، وكل مركب يفتقر في تحققه الى تحقق كل واحد من أجزائه ، والجزء غير الكل بالبداهة، فكل مركب مفتقر إلى غيره، وكلٌ مفتقرٍ الى غيره ممكنٌ لذاته فيلزم أن يكون الله ممكنا لذاته وهذا باطل»[1].

فمع افتراض وجود هذه الأقانيم في ذات الله ـ كما يدعي النصارى ـ فإن هذا لا يستدعي أن تكون الثلاثة من طبيعة واحدة وأن تكون مساوية لله تعالى إذ أنها لو كانت من طبيعة واحدة ومساوية لله تعالى لكانت الذات الالهية مركبة تركيبا حقيقيا وهذا يترتب عليه الافتقار بين الواجبات الثلاثة : الأب والابن والروح القدس، وما كان إلها ـ كما يدَّعون في عيسى والروح القدس ـ لا يفتقر إلى غيره.

وإذن لو قلنا بالمساواة والطبيعة الواحدة لترتب على هذا التركيب الحقيقي والتركيب الحقيقي ينفي ألوهية هذا الثالوث.

فإن نحينا التركب الحقيقي جانبا لم يكن هناك ـ حسب ثالوثهم ـ إلا التركيب الاعتباري وهذا لا يلزم عليه ألوهية المسيح أو ألوهية الروح القدس.

٤ ـ أيضا لو أخذنا هذه الأقانيم على معنى أن الآب والابن والروح القدس آلهة متساوية في كل شيء ومن طبيعة واحدة، فهذا معناه التعدد في الآلهة لأنه إذا كان عيسى إلها مساويا للآله الحق ومن طبيعته ، وكذلك الروح القدس، كان هناك آلهة ثلاثة وهذا باطل لامتناع تعدد الألهة لأنه : «لو كان للعالم صانعان ـ أو أكثر ـ فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما ان يحصل مرادهما معا أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ١ ص ٥٨٤/٥٨٥.

عن الحركة والسكون، وهو ممتنع. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإلـه القـادر والآخر عاجزا لا يصلح للآلهية[1] «والأدلة في هذا الباب كثيرة ولكن نكتفي بهذا من باب الاختصار.

٥ ـ أما الذين يقولون بالحلول والاتحاد فمذهبهم باطل هو الآخر، لأن الحلول يعني أن صفة العلم الأزلية القديمة قد حلت في عيسى الذي ولد من مريم، أو بمعنى آخر أن صفات الله تعالى قد حلت في غير الله وهذا باطل لأنه «لو حلت صفات الله تعـالى في غيره لانتقلت من ذات الله تعـالى إلى هذا الغير والانتقال لا يتصور من الصفات ، إذ هو من خواصّ الأجسام، هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن الباقي من الاله بعد انتقال الصفة لا يكون إلها كاملا وإنما هو بعض إله، وعيسى أيضا قام به بعض الاله فلا يكون إلها كاملا، وعلى هذا يلزم عدم الاله الكامل.

عـلى أنـه لو قيل : إن علاقة ذات الله تعالى وصفاته بالمسيح كعلاقة الشمس وضيائها بنا إذ الأضواء مشرقة علينا ولم تفارق الشمس، نقول : إن هذا قياس مع الفارق لأن أضواء الشمس أجسام كثيرة وهي كالخيط الممتد، طرفه متصل بالشمس وطرفه الآخر واصل إلينا، وكما يقول المسيحيون : إن أقنوم العلم لا تَعدُّد فيه ولا تكثُّر.

حتى لو قسنا هذه العلاقة بالانطباع بأن نقول : إن حلول علم الله تعالى بعيسى معناه انطباعه فيه مثل انطباع الصورة الحديدية في الشمع، فإن هذا أيضا باطل لان نفس الصورة المنقوشة في الحديد لم تحصل في الشمع وإنما حصل فيه مثالها»[2]

٦ ـ ونقول في الاتحاد خاصة : بعد الاتحاد بين الأقنومين إما أن يبقيا ، أو يعدما، أو يبقى أحدهما ويعدم الآخر، فإن كانا موجودين فهما إثنان لاواحد فلا اتحاد بينهما، وانعدما وحصل ثالث فهو ايضا لا يكون اتحادا بل عدم الشيئين وحصول شيء ثالث،

---

١ ـ علي بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ط٢ مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٢٥/٢٦.

٢ ـ د/ سيد عبد التواب ، العقيدة الدينية في ضوء الفكرين المسيحي والاسلامي ص ١٤٨.

وإن بقى أحدهما وعدم الاخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود . . فظهر أن الاتحاد محال.[1]

وبعد :

فأصحاب العقول الرشيدة مجمعون على أن التثليث جنون وهراء، وهو متعارض مع ماجاءت به الرسل من الوحدانية الخالصة، بل إن التثليث قول تأباه الفطر السليمة، وتنفر منه الضمائر الحية، والحمد لله الذي جعل الاسلام هداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

دعوى بنوة عيسى لله وإبطال هذه الدعوى :

بعد إبطال عموم التثليث بنصوص التوراة والانجيل والقرآن والعقل نشرع في إبطال دعوى ألوهية أفراد هذا الثالوث من الابن والروح القدس.

بسبب الدعايات المسمومة والأفكار الضالة التي يثيرها النصارى المثلِّثون بين عامة الشعوب والسذج من الناس أصبحت دعوى ألوهية عيسى وبُنُوَّته لله تعالى شيئا مصدَّقا من قبل كثير من هؤلاء الناس، بل يكاد يكون أمرا مسلَّما لا يحتمل الشك والريبة عند المثقفين أنفسهم، لكن الحقيقة الناصعة التي لا يستطيع إنكارها أحد من الناس ـ حتى القسس والبطاركة وعلماء النصارى أنفسهم ـ هي أن في الأناجيل نصوصا تثبت وحدانية الله تعالى ، وتعلن بصراحة أن عيسى بن مريم ماهو إلا عبد الله ورسوله، وأن يسوع المسيح رسول الله قد ولد من مريم وهو ابن الانسان، وقد سبق إيراد بعض هذه النصوص.

فإذا كانت النصوص السابق ذكرها شاهدة بوحدانية الله تعالى ثبت إذن أنه ليس هناك إله آخر يشارك الله تعالى في ألوهيته، ولا ربوبيته، ولا يجوز أن يكون لله ابنٌ على

---

١ ـ رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ١ ص ٥٨٨.

الحقيقة، لأن الابن من جنس أبيه، فيكون هذا الابن المدَّعى شريكا لله، وهذا باطل في جميع الأديان السماوية.

وإذا كان مقتضى الرسالات السماوية يتعارض مع القول بالبنوة الحقيقية كانت النصوص المثبتة لبُنوَّة عيسى لله غير مقصود بها ظاهرها وهو أن عيسى ابن الله على الحقيقة، ومن جنسه وجوهره كما يدعي النصارى، إذ أن هذا لو كان مرادا لأدَّى ذلك الى اعتبار بني اسرائيل جميعهم أبناء لله تعالى على الحقيقة لان عيسى ـ عليه السلام ـ قال عن بني اسرائيل وعن نفسه : «إني أصعد إلى أبي وأبيكم» فالجمع بينه وبينهم في وصف الأبوة يقتضي أن يكون بنو إسرائيل أيضا أبناء لله على الحقيقة حيث ادعى النصارى هذا في عيسى بن مريم، ولكن لم يقل بهذا أحد لامن النصارى ولا من غيرهم، وهذا يقتضي أن يكون لفظ الأبوة والبنوة مستعملا في غير معناه الحقيقي.

على أنه لا يجوز الاعتراض على هذا الاستنتاج بأن أبوة الله لعيسى لا يجوز إلا ان تكون على الحقيقة حيث ماظهر على يد عيسى من معجزات يوجب ذلك، اقول لا يجوز الاعـتراض بهذا، لأن لفظ الأبـوة لفظ واحد أطلق على عدد كثير فيجب أن يتساوى الكل في الوصف إذ لايجوز تخصيص البعض بوصف دون البعض الآخر، إلا لقرينة في ذات النص ، والنصوص التي معنا من الأناجيل ليس فيها قرينة توجب أن يكون الله أبا لعيسى على الحقيقة ولغيره باعتبار المجاز.

على أن قول عيسى ـ عليه السلام ـ لبني إسرائيل «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» هو قرينـة صارفة لأن يراد بلفظ الأبوة والبنوة ظاهِرُهُ، إذ أن جَعْل عيسى وصف الأبوة شاملا له ولبني إسرائيل دون تفرقة بسبب المعجزات أو عدمها فيه دلالة واضحة على أن لفظ الأبوة والبنوة ليس مراداً به ظاهرُه.

ولو جاز لنا أن نفرق في وصف الأبوة والبنوة بين عيسى وبني اسرائيل فنجعله مرادا به حقيقته بالنسبة لعيسى ، غير مراد به حقيقته بالنسبة لبني اسرائيل لجاز لنا حينئذ أن نفرق في وصف الألوهية «وإلهي إلهكم» بالنسبة لعيسى من جهة وبالنسبة لبني إسرائيل من جهة أخرى، وهذا باطل! فبطل ما أدى اليه؛ وهو أن يكون لفظ الأبوة والبنوة بالنسبة لعيسى مرادا به حقيقته.

يؤيد هذا القول ـ وهو أن لفظ الأبوة والبنوة غير مراد به ظاهره ماجاء في إنجيل

يوحنا[1] :

«أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» ففي هذا النص دلالة واضحة وصريحة على بشرية عيسى وانسانيته (أنا انسان) وبالتالي رفض لدعوى ألوهية عيسى أو بنوته بنوَّة حقيقية لله تعالى.

أيضا لو كان لفظ الأبوة والبنوة مقصودا به حقيقته ـ وهو أن عيسى ابن الله على الحقيقة ـ لصح جريان هذا الحكم على يعقوب حين قال الله له ـ وكما ورد في التوراة ـ أنت ابني[2] بكري ولجاز ان نطلق هذا الوصف حقيقة على داود لقول الله له ـ كما ورد في الزَّبور ـ «أنت ابني حبيبي[3]» ولكن لم يثبت هذا عن أحد من الناس لاعن اليهود، ولا عن النصارى، ولا عن المسلمين.

والنصارى حين رأوا أن هذااللفظ ـ الأبوّة والبُنوَّة ـ قد أطلق على عيسى وعلى يعقوب وعلى داود قالوا تفسيرا لهذا الموقف :

«هو ـ أي عيسى ـ ابنه بالطبع ، وغيره بالوضع، فجعلوا لفظ الاب مشتركا بين معنيين، وأثبتوا لله طبعا، فجعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع»[4].

وقد فند ابن تيمية هذا الصنيع من أهل التثليث فقال : «معلوم أن الاشتراك على خلاف الأصل، وبأن اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقةً متواطئا في القدر المشترك أولى من جعله مشتركا اشتراكا لفظيا بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا، وخصوص هذا، أو يكون مجازا في أحدهما، فإن المجاز والاشتراك على خلاف الأصل . . . ونحن إذا فسرنا الأب بأبوة التربية . . . كنا قد جعلنا اللفظ مفرداً متواطئا، وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركا، أو مجازا في أحد المعنيين فكان تفسيرهم مخالفا لظاهر اللغة التي خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التي بأيديهم».[5]

---

١ ـ يوحنا ٨ : ٤ .

٢ ، ٣ ـ نقلا عن كتاب : الجواب الصحيح لابن تيمية ج٢ ص٩٧.

٤ ـ ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ٩٩/ ١٠٠.

٥ ـ المرجع السابق / نفس الصفحة.

ويوضح ابن تيمية هذه القضية في موضع آخر فيقول : «أما قوله على لسان موسى ـ عليه السلام ـ مخاطبا بني إسرائيل قائلا : «أليس هذا الأب الذي صنعك»؟ فهذا فيه أنه سماه أبا لغير المسيح عليه السلام، وهذا نظير قوله لإسرائيل «أنت ابني بكري» ولداود «ابني حبيبي» وقول المسيح «أبي وأبيكم» وهم يسلمون أن المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنى الرب لامعنى التولد الذي يخصون به المسيح . . . فإذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أبا لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنى الرب، علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب فيجب جعله في حق المسيح على هذا المعنى لان الاصل عدم الاشتراك في الكلام . . . (كما) أنه لايوجد في كتب الانبياء وكلامهم إطلاق اسم الأب والمراد به أب اللاهوت، ولا اطلاق اسم الابن والمراد به شيء من اللاهوت ولا كلمته ولاحياته ، بل لايوجد لفظ الابن الا المراد به المخلوق فلا يكون لفظ الابن الا لابنٍ مخلوقٍ، وحينئذ فيلزم أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت» .[1]

إذن فماذا يراد بقوله عيسى ـ عليه السلام ـ لبني اسرائيل «إني أصعد إلى أبي وأبيكم» ؟ وأجيب بما أجاب به ابن تيمية حين قال : «المراد بذلك أنه الرب المُرَبِّي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المربَّى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالأب الرب، والمراد بالابن عنده المسيح الذي أرسله .[2]»

والشهرستاني يوضح هذا الأمر فيرى أن قول عيسى «أبي وأبيكم» هو : «من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا أبناء الدنيا ، ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة، وقد قال المسيح للحواريين (أنا أقول لكم أحبوا أعداءَكم وباركوا لاعنِيكمُ وأحسِنوا إلى مبغضيكم على من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء . . . وتكونوا تامين كما أن أباكم الذي في السماء تامّ»[3] .

---

١ ـ ابن تيمية ، الجواب الصحيح ج٢، ص١٢٢/١٢٣ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٧ .

٣ ـ الشهرستاني ، الملل والنحل (على هامش الفصل ـ لابن حزم) ج٢، ص٥١ .

وفي هذا النص الذي أورده الشهرستاني نقرأ قول عيسى لبني اسرائيل «وتكونوا تامِّين كما أن أباكم الذي في السماء تامّ» فقد وصف بني اسرائيل بأنهم تامُّون وأن الله تام، وحينئذ لو جاز لأصحاب التثليث استعمال لفظ الأبوة والبنوة على الحقيقة لجاز حينئذ أن يكون استعمال كلمة (تام) على الحقيقة دون أية فوارق بين الوصفين في كل من الله وبني إسرائيل وهذا لا يجوز ولا يقول به إلا كافر، لأنه تعالى «ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير[1]».

وهذا الذي يقوله أصحاب التثليث من بُنّوة عيسى لله تعالى يراه الأستاذ عبد الكريم الخطيب أمرا ليس بالغريب على العقل البشري وإن كان في حد ذاته كذبا في الشرائع السماوية، فلقد «كان فراعنة مصر يعتقدون انهم آلهة وأبناء آلهة، وكذلك كان الشأن عند قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان.

إنهم كانوا ينظرون الى الناس من سماوات عالية كما كان ينظر إليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة نزلوا من السماء فقدسوهم وعبدوهم . . . وعلى هذا فإنه إذا قال دعاة المسيحية بأن المسيح ابن الله فانهم لم يقولوا بدعا من القول لم يعرفه العقل البشري وإن يكن بِدْعا وتجديفا في الشرائع السماوية كلها . . . «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلُّ إلٰه بما خلق ولَعَلا بعضُهم على بعضٍ سبحان الله عما يَصِفُونَ» ، سائغ إذن لدعاة المسيحية أن يواجهوا العقل الانساني في ذلك الحين الذي بشروا فيه بدعوتهم ـ وخاصة العقل الروماني ـ سائغ لهم أن يقولوا إن «المسيح» الذي ولد من مريم العذراء وبشَّر في اليهودية وصُلب في عهد بيلاطس الروماني ـ هو ابن الله الوحيد[2]».

وهذا الذي يقوله عبد الكريم الخطيب إنما يصل فكرة البنوة التي ألصقت بعيسى عليه السلام من بني جنسه، بفكرة البنوة السابقة التي كانت عند قدماء المصريين وقياصرة الرومان وأكاسرة الفرس، وعلى هذا فإن بنوة عيسى لله ليست أمرا حقيقيا وإنما هي فكرة مفتراة بنيت على أساس وثني ثم صبغت بالصبغة الدينية حين نسبها

---

١ ـ الشورى / ١١.

٢ ـ عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن ص ١٣٧/١٣٨، والاية الواردة بالنص من سورة : المؤمنون / ٩١.

هؤلاء النصارى إلى الشريعة السماوية، وهذه هي الخطوة في الأمر وذلك حين يكذبون على الله وعلى رسله وفي كتبه فيجعلون عيسى ابنا حقيقيا لله مساويا له في الجوهر ! وينسبون هذه الفرية الى عيسى ويدَّعون أن الانجيل ـ الذي نزل وحيا من الله ـ قد قال بهذا التجديف والبهتان، وعيسى بريء من بنوة حقيقية لله، والانجيل الذي نزل من الله بريء من هذا الادعاء الكاذب.

ومما يؤكد أن عقيدة النصارى ـ التي ترى أن عيسى ابن الله على الحقيقة ـ عقيدة قائمة على أصول وثنية تلك العلاقة الواضحة بين ما يقوله هؤلاء النصارى وقواعد الديانة الفارسية المسماة بـ «متراس»[1] حيث تقول هذه الديانة إن :

«مثْرا كان وسيطا بين الله والبشر، وأم مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض وأنه ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر ، كان له اثنا عشر حَواريًّا ، مات ليخلِّص البشر من خطاياهم، دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره، صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون، كان يُدْعى مخلصا ومنقذا، ومن أوصافه انه كالحمل الوديع، كان اتباعه يُعَمَّدُون باسمه، وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس.»[2]

فإذا ماقارنا هذه العقيدة الفارسية بما يعتقده أصحاب التثليث في عيسى لن نجد فارقا يذكر، بل إن النص مليء بالدلائل التي تؤكد أن النصارى ـ الذين بدَّلُوا في دين عيسى ـ قد نسجوا بنوة عيسى لله متأثرين في هذا بوثنية الفرس وغيرهم.

وإذْ كان القول ببنوة عيسى لله ـ التي يعتقد بها غالبية النصارى ـ له نظير في التاريخ القديم عند كثير من الأمم التي اتسمت بالكفر والوثنية ، تبين لنا أن عيسى عليه السلام بريء من هذا القول ـ أي انه ابن حقيقي لله تعالى ـ لأنه رسول، والرسل جاءت لتطهير الناس من الوثنية وإخراجهم من دائرة الآلهة المتعددة إلى دائرة الوحدانية الصادقة والخالصة.

---

١ ـ ديانة فارسية الأصل ، ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون، ثم نزحت إلى روما حوالي سنة ٧٠ ق . م وانتشرت في بلاد الرومان (احمد شلبي «دكتور» ، المسيحية ط ٧ ص١٧٧).

٢ ـ Ropertson - Pagon Christs P- 330 نقلا عن كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ١٧٨ .

أمـا ما نقـرؤه في الأنـاجيل من كلمة الأب والابن والروح القدس ، فإن هذه الكلمات إما أن تأتي منفصلة عن بعضها البعض وهذا كما جاء في الانجيل «وأما أنا فأقول أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئـون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات»[1]، وحين اقتيد عيسى للمحاكمة واستل احد اتباعه سيفه للدفاع عنه قال عيسى «أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدِّم لي أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة»[2]

وفي إنجيل يوحنا جاء قول عيسى : «والذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لايؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»[3]، وحينئذ يكون لكل منها معنى مستقل عن الآخر، فالأب هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي في السموات ويستطيع أن يعطي عيسى اثنى عشر جيشا من الملائكة، والأبوة هنا ليست أبوة حسية قائمة على الولادة والنسب، وإنما هي أبوة الرعاية والعناية والعطاء والمنع ، يدل على هذا مخاطبة عيسى للناس ـ في النص الذي ذكرناه ـ أنهم جميعا أبناء الله ، هو وهم وليس هو وحده المختص بذلك.

وعلى هذا فالبنوة الواردة في النصوص التي معنا وفي غيرها ليست إلا صلة قائمة على العناية والرعاية وليست على النسب أو القرابة.

وإما أن تأتي هذه الألفاظ مجتمعة في نص واحد، وهذا لم يرد إلا في إنجيل واحد وفي موضع واحد منه، حيث جاء في إنجيل متّى منسوبا إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الاب والابن وروح القدس[4]».

والذي أراه في هذا النص أنه من أقوال بعض كاتبي الأناجيل ، وأن عيسى لم يقل

---

١ ـ متّى ٥ : ٤٤/٤٥.

٢ ـ متّى ٢٦/٥٣.

٣ ـ يوحنا : ٣:٣٦.

٤ ـ متى ٢٨ : ١٩.

هذا الكلام، ولم يصدر منه مثل هذا الحديث، يؤيد هذا ماجاء في نصوص أخرى من أن عيسى لم يكلَّف بتبليغ رسالته إلى جميع أمم الأرض بل حتى الكنعانيين وأنه لم يكلف الحواريين بهذا وانما أرسل فقط إلى بني إسرائيل، فقد جاء في إنجيل متىّ : «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمني ياسيد ياابن داود، ابنتي مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها لانها تصيح وراءنا فأجاب وقال : لم أُرسل إلا الى خِراف بيت إسرائيل الضالَّة»[1].

كما أوصى عيسى الحواريين الاثنى عشر قائلا لهم : «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت إسرائيل الضالة»[2].

وحينئذ فإننا نرى النص الذي يقول «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس» نصا متعارضا مع الحقيقة التي جاءت في بعض نصوص الأناجيل، ونص عليها القرآن الكريم ، ويصدق بها المسلمون جميعا، ألا وهي أن عيسى ـ عليه السلام ـ رسول إلى بني إسرائيل خاصة وليس إلى جميع الأمم، والذي يجعلنا نشك في هذا النص ما اكتنف كتابة الأناجيل من ظروف مختلفة وأغراض شخصية وأهواء سياسية، مما يؤكد أن هذا النص وأمثاله مما أُدْخِلَ على إنجيل عيسى ونسب إلى رسول الله بهتانا وزورا.

على أن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي :

«أن مرقس لم يذكر في إنجيله تلك الوصَاة التي وصى بها المسيح أتباعه حين لقيهم بعد خروجه من القبر على ماذكر متى في إنجيله إذ قال لهم «وعمدوهم باسم الآب

---

١ ـ متى ١٠ : ٥/٦.

٢ ـ لايقال هنا لعل الرسالة كانت أول الامر خاصة ثم نسخ هذا بقول عيسى :

«اذهبوا وتلمذوا جميع الامم» فأصبحت عامة وعالمية، لايقال هذا لأننا لم نعهد مثل هذا الانقلاب في رسالة الرسل السابقين على عيسى ولا في رسالة من جاء بعده، كما أن مثل هذا لابد وأن يكون من صلب رسالة عيسى فلا بد ان يكون معروفا من بدء الرسالة وأن يقول به عيسى قبل موته لا أن يعلن ذلك بعد الصَّلب والخروج من بين الاموات!

والابن وروح القدس» وهذا يدعو إلى الحيرة والعجب! إذ كيف لا تكون قولة المسيح هذه التي قيل إنه قالها بعد أن قام من بين الأموات والتي جعلها دستورا يترسمه أتباعه؟ . . . كيف لاتكـون هذه المقـولـة في قلب كل من عاصر المسيح من أتباعه وأتباع أتبـاعه ؟ كيف يغفل عنها حواريّ كتب عن الوحي هذا الإنجيل ؟ بل كيف يدع المسيح هذه الرسالة حتى يصلب ويقوم بعد الصلب دون أن يبلغها لأتباعه الملازمين له[1] ؟

وإذا كان الأمر هكذا فليس لاحد ان يدعي أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد قال هذا النص وبخاصة أن الدراسات العلمية التي قام بها الباحثون قد أثبتت أن عيسى عليه السلام لم يعرف عنه أنه قد نسب نفسه الى الله أو انه قد ادعى بنوته له تعالى[2]، والصحيح أن هذه اللفظة من الأغاليط المدسوسة على عيسى، ورسول الله منها براء، والشـاهـد على هذا ماذكـره أحد علماء النصارى المسيحيين المتخصصين في تاريخ الأديان حين قال : «والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى . . . لم يقل عن نفسه أنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل ـ بالنسبة إلى اليهود ـ سوى خطأ لغوي فاحش ، وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لايسمح لنا اي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير . . . ابن الله على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية . . . يمكن لليهودي ان يعتبر نفسه «عبدا ليهوه» لاابنا ليهوه ، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه «عبداً لله» وتقدم للناس بهذه الصفة والكلمة العبرية «عبد» كثيرا ماتترجم الى اليونانية بكلمة تعني «خادما» و «طفلا» على حد سواء ، وتطور كلمة «طفل» الى كلمة «ابن» ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم «ابن الله» نبع من العالم الفكري اليوناني»[3] .

---

١ ـ عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن، ص ٢٢٥ .

٢ ـ وليس هذا عن تواضع لأنه لو كان حقا ابن الله لوجب عليه تبليغ هذا للناس لأنه يكون حينئذ من صُلْب العقيدة التي أرسله الله من اجلها، وحيث لم يثبت بالنصوص الصحيحة والصريحة أن عيسى قد قال هذا كانت هذه الالفاظ مفتراة عليه.

٣ ـ شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها ، ص٣٩.

ولو افترضنا جدلا ـ مسايرةً للخصم ـ أن عيسى قد قال هذا النص حقيقة وبهذه الصورة الثلاثية فليس هذا على سبيل بنوة النسب والقرابة والولادة وإنما فقط على سبيل الصلة بين خالق ومخلوق وصانع ومصنوع.

والأناجيل تؤكد هذه الصلة ـ صلة الخالق بالمخلوق والصانع بالمصنوع ـ في نصوص كثيرة منها: «الحق أقول لكم لايقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل . . . لأن الآب يحب الابن»[1] و«لاتظنوا أني أشكوكم إلى الآب»[2] و«أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل»[3].

فكل هذا «يعني أن الابن لايستقيم معه أن يكون الابن هو الآب، أو أن يكون وجها من وجوهه وإلا لزم أن تكون الذات غير ذاتها أو أن تنقسم الذات نفسها فيكون بعضها أعظم من بعض وهذا محال في ذواتنا الناقصة المحددة فكيف بذات الله وما ينبغي ان يكون لها من كمال وجلال؟! فالابن هو ذات مستقلة استقلالا تاما بوجودها وحياتها وأعمالها ومشيئاتها عن ذات الآب، وإن كان يفعل بمشيئة الآب ويتحرك بسلطانه وينطق بما أنطقه»[4].

وحينئذ فهذا الابن الذي يفعل بمشيئة الله ويتحرك بسلطانه لا يجوز أن يكون إلها أو ابن إله.

والقرآن الكريم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد أبطل ادعاء النصارى بنوة عيسى لله تعالى أو أنه إله أو إبن إله في كثير من الآيات فقال تعالى في إبطال أن يكون له ولد «وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ»[5]، فهل يعقل ممن له مافي السموات والأرض، وجميعهم منقادون له، لا يستعصون

---

١ ـ يوحنا ٥: ١٩/ ٢٠.

٢ ـ يوحنا ٥: ٤٥.

٣ ـ يوحنا ١٠: ٢٩.

٤ ـ عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن ٢٢٣.

٥ ـ البقرة /١١٦.

عليه، بل هو الذي أبدع السمواتِ والأرضَ ، وحين يريد شيئا يتحقق دون إبطاء أو تأخير، هل يعقل ممن هذه صفته أن يكون في حاجة إلى ولد وابن ؟!

ويقول سبحانه : «يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓۚ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا»[1].

ويقول تعالى منددا بهؤلاء الذين يدَّعون ألوهية المسيح «لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ»[2].

كيف تدَّعون ـ أيها النصارى ـ أن عيسى إله وهو ـ بل الخلق جميعا ـ لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولا عن أمه ما يريد الاله الحق ايقاعه بهما من الهلاك ، فهو سبحانه قادر على إهلاكه واهلاك أمه بل وإهلاك جميع من في الأرض، ولا أحد يستعصي عليه لأنه تعالى له ملك السموات والأرض، قادر على خلق ما يشاء، فهذا مخلوق من أب وأم ، وعيسى من أم بدون أب، وآدم مخلوق بدون أب وأم، وهذه مشيئة الله وإرادته وقدرته فما الدافع لأن تجعلوا عيسى إلٰها من دون الله ؟

ويبريء الله ساحة عيسى من دعوى ألوهيته فيقول سبحانه : «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقط حرَّم الله عليه الجنة ومأواهُ النار وما للظالمين من أنصارٍ»[3].

---

(١) النساء /١٧١ .

(٢) المائدة /١٧ .

(٣) المائدة /٧٢ .

ويناقش الله هؤلاء الكذابين الذين يدعون أنه ثالث ثلاثة واصفا إياهم بالجهل إذ جعلوا لله بنين وبنات دون أن يكون بأيديهم دليل على هذا، وكيف يكون لله ولد وليست له زوجة ؟ وكيف يحتاج إلى ولد وهو مبدع السماوات والأرض وخالق كل شيء ؟ يقول سبحانه : «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾»[1].

ويواجه الله أصحاب التثليث باعتراف من عيسى نفسه يتبرأ فيه من دعوى التأليه والتثليث معلنا إيمانه بوحدانية الله تعالى ، فيقول سبحانه :

«وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»[2].

الروح القدس وإبطال دعوى ألوهيته :

اختلفت النصارى حول حقيقة الروح القدس، فالموحدون منهم كآريوس وأتباعه ـ يرون أنه مخلوق ومصنوع ليس بإله[3]، والمثلثون ادعوا في أول الأمر أنه روح الله التي هي حياته تعالى، وهذا كما قال بطريرك الاسكندرية : «ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته، وإذا قلنا إن رُوح الله مخلوق فقد قلنا أن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي وذلك كفر[4]. وإذن فالروح

---

١ ـ الانعام : ١٠٠ ـ ١٠٢ .

٢ ـ المائدة : ١١٦/١١٧ .

٣ ـ ابن القيم ، هداية الحيارى ص ٢٤٠

٤ ـ المرجع السابق.

القدس حسب تعاليم هذا البطريق غير مخلوق لأنه روح الله التي هي حياته.

ثم تطور هذا الاعتقاد إلى مرحلة جديدة وخطيرة، فالروح القدس بعد أن كان روح الله أصبح عندهم إله حق ومن إله حق هو الرب المحيى، يتساوى مع الآب والابن في السجود له وتمجيده[1].

وحين نطالع الأناجيل نراها تعطينا صورة أخرى عن الروح القدس مخالفة تماما لما قال به بطريرك الاسكندرية، ولما استقر عليه مجمع القسطنطينية الأول، فهو في هذه الأناجيل الروح الذي ينزل ويستقر على الأنبياء، وبه يُعمدَّون. وهذا ما قاله إنجيل يوحنا[2] : «لكن الذي أرسلني لأعمِّد بالماء ذاك قال لي : الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس».

والروح القدس في الأناجيل هو المعلِّم والمذكِّر بكل ماقاله عيسى ـ عليه السلام ـ «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكر بكل ماقلته»[3].

والروح القدس هو صاحب الوحي المتكفل بإبلاغه لمن هو أهل له «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان بارًّا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لايرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب[4].

والروح القدس هو الذي بشر مريم بيسوع، وهو الذى يحل عليها «فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا، فأجاب الملاك وقال لها الروح القُدس يحل عليك وقوة العلي تُظَلِّلُكُ»[5].

---

١ ـ المرجع السابق.

٢ ـ يوحنا ١ : ٣٣.

٣ ـ يوحنا ١٤ : ٢٦.

٤ ـ لوقا ٢ : ٢٥/٢٦.

٥ ـ لوقا ١ : ٣٤/٣٥.

والروح القدس هو الذي نزل على عيسى وقت اعتماده وكان في صورة جسمية «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا وإذْ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الوحي القدس بهيئة جسمية مثل حمامة»[1].

والروح القدس هو الذي ملأ عيسى بالوحي، وكان يذهب به ويعود في البريَّة «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح القدس في البرية، ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل»[2].

واذا كان الروح القدس نازلا ومرسَلاً من قِبَل الآب لم يكن هذا الروح إلها إذ أن الروح هنا لا يفعل من نفسه وإنما يفعل من غيره، والذي يكون هكذا لا يكون إلها من إله، ولا يكون ربا يحيى ويتساوى مع الخالق في السجود له وتمجيده.

وإذا كان الروح القدس واسطة بين المُوحي الذي هو الاله الحق وبين المُوحَي اليهم لم يصح أن يكون إلها، لأنه مكلف من الغير، والآلهُ الحق لايواجه من الغير ولا يكلف من أحد.

والاله لايصح ان يكون في صورة جسمية مثل الحمامة كما جاء في الانجيل لأن هذا من شأن الاجسام المادية المحدودة بحدود، والله منزَّه عن هذه المماثلة وتلك المشابهة.

والقرآن الكريم ـ وهو آخر الكتب السماوية والمهيمن عليها ـ قد تحدث عن الروح القدس في أكثر من آية، لايوجد في آية منها أن الروح القدس إله أو أنه روحُ الله بالمعنى الذي قال به بطريرك الاسكندرية، وإنما هو جبريل ـ عليه السلام[3] ـ أو هو روح عيسى عليه السلام[4]، أو هو الانجيل[5]، أو هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يُحيِي به الموتى[6]، وأياً ماكانت آراء المسلمين في هذا فهي لاتقول بأن الروح

---

١ ـ لوقا ١ : ٢١.

٢ ـ لوقا : ٤ : ١ : ١٤.

٣ ـ ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ١٢٢ ، وتفسير المنار م١ ص ٣٧٧.

٤ ـ محمد رشيد رضا ، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) م١ ص٣٧٧.

٥ ـ المرجع السابق ص٣٧٧.

٦ ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ١٢٢.

«وآتينا عيسى بن مريم البيناتِ وأيدناه بروح القدس » (البقرة : ٨٧) «وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس» (البقرة : ٢٥٣) «إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس» (المائدة ١١٠) «قل نزَّله رُوح القدس من ربك بالحق» (النحل : ١٠٢).

القدس روح الله، وهي حياته، وهي غير مخلوقة ولاتقول بأن الروح القدس إله حق من إله حق كما يدعي المثلثون، وانما جميع الآراء متفقة على أن الروح القدس غير الله تعالى، فلا يماثله ولا يشابهه لانه تعالى واحد في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في أفعاله، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

وبعـد :

فهذا هو التثليث الذي يقول به النصارى اليوم نراه عقيدة فاسدة مستنبَطة ومنتقاة من فلسفات وثنية سابقة على رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ دسها ودمجها في النصرانية الصحيحة أحد الذين كانوا على عداوة مع عيسى ودعوته وهو بولس، فصبغ الوحدانية بالتثليث، وقلب الحق باطلا، وجعل من التوحيد تعددا، فَبَعُدَ بديانة عيسى عن المنهج الالهي الذي جاءت به الرسل، وهي بهذه الصورة التي تطورت إليها لم تعد شريعة سماوية، وإنما هي مجموعة من الأفكار الشخصية، والفلسفات الاغريقية. وعقائد الوثنيين، من الهنود والمصريين أدخلها بولس والبطاركة والقساوسة على دين أنبياء الله المبني على التوحيد الخالص المطلق.

لذلك فلا هداية فيها ولا صلاح ولا فلاح، وإنما الصلاح والفلاح والهداية في الاسلام العظيم والقرآن الكريم؛ الذي يدعونا الى طريق الحق، طريق الصراط المستقيم «قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾»[1].

«قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾»[2].

١ ـ الانعام : ١٦١ ـ ١٦٣.

٢ ـ الزُمر : ١١ ـ ١٥.

المـراجـع

أولا : كتب الديانات :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ التوراة .
٣ ـ إنجيل متّى .
٤ ـ إنجيل مرقُص .
٥ ـ انجيل لُوقا .
٦ ـ انجيل يُوحنَّا .
٧ ـ أعمال الرسل .
٨ ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية .
٩ ـ رسالة بولس إلى تيطس .
١٠ ـ رسالة بولس إلى أهل روميَّة .

١١ ـ رسالة بولس إلى فيلبي .
١٢ ـ رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس .
١٣ ـ رسالة بولس الأولى الى تلميذه تيموثاوس .

ثانيا : المعاجم ودوائر المعارف .

١٤ ـ لسان العرب .
١٥ ـ مختار الصِّحاح .
١٦ ـ دائرة المعارف العربية للبستاني .

ثالثا : المراجع الاخرى

١٧ ـ ابن تيميَّة ، الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح .
١٨ ـ ابن حَزْم ، الفصل، في المِلَل والاهواء والنِّحَل .
١٩ ـ ابن القيِّم ، هداية الحياري في الرد على اليهود والنصارى .
٢٠ ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم .
٢١ ـ الأب بولس إلياس ، يسوع المسيح .
٢٢ ـ الأب بولس شباط، المشرِّع .
٢٣ ـ أبو عَبيدة الخزرجي ، بين الإسلام والمسيحية .
٢٤ ـ أحمد شَلبي ، أديان الهند الكبرى .
٢٥ ـ أحمد شلبي ، اليهودية .
٢٦ ـ أحمد شلبي ، المسيحية .
٢٧ ـ احمد عبد الوهاب، المسيح في المصادر المسيحية .
٢٨ ـ الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
٢٩ ـ رحمة الله الهندي ، إظهار الحق .
٣٠ ـ سعيد بن البطريق، نظْم الجواهر (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) .
٣١ ـ د/ سيد عبد التواب ، العقيدة الدينية في ضوء الفكرين المسيحي والإسلامي .
٣٢ ـ شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها .
٣٣ ـ الشهرستاني ، المِلَل والنِّحل .
٣٤ ـ عباس محمود العقاد، (الله) .
٣٥ ـ الشيخ : عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب .
٣٦ ـ عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والانجيل .
٣٧ ـ علي بن أبي العزّ الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية .
٣٨ ـ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب .

٣٩ ـ ل. دولابورت، بلاد مابين النهرين.
٤٠ ـ د/ محمد البهي ، الجانب الآلهي من التفكير الاسلامي.
٤١ ـ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (تفسير القرآن العظيم).
٤٢ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة.
٤٣ ـ يوسف بوست ، قاموس الكتاب المقدس.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغشيم

صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥

تصل اعدادها الى ايدي نحو ٢٠٠٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من البحوث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ـ وثائق ـ يوميات ـ ببليوجرافيا .
- ملخصات للبحوث باللغة الانجليزية .

منشورات المجلة

اضطلعت المجلة باصدار عدد من سلاسل الكتب هي : ـ

أولا : سلسلة المنشورات ، وقد صدر منها حتى الان أحد عشر منشورا من احدثها :

- منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧ : دراسة مقارنة في التنظيم الدولي د. عادل خاكي .
- قواعد الملاحة عند بن ماجد والقطامي . حسن صالح شهاب .

ثانيا : سلسلة الاصدارات الخاصة ، وصدر منها حتى الان ثلاثة عشر كتابا ، من احدثها :

- المفهوم الحديث للتسويق وتخطيط الخدمات المصرفية في البنوك التجارية الكويتية . د. عبد الفتاح الشربيني ، د. السيد ناجي
- رسالة في تاريخ اليمن : مطالع النيران . د. محمد عيسى صالحية .

ثالثا : سلسلة كتب الوثائق ، وقد صدر منها كتب الوثائق للاعوام : ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا او ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ـ كلية الآداب والتربية ـ الشويخ ـ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ ـ الخالدية

الهاتف : ٨١٦٨٠٧ ـ ٨١٦٧٩٩ ـ ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير